كريم هشام

يو-تيرن

TURN

مقام للنشر والتوزيع

نسخه حصرية لموقع فور ريد
من صديق الموقع Amr hassan

لتحميل كتب pdf مجانا
www.4read.info

يو-تيرن

يو-تيرن

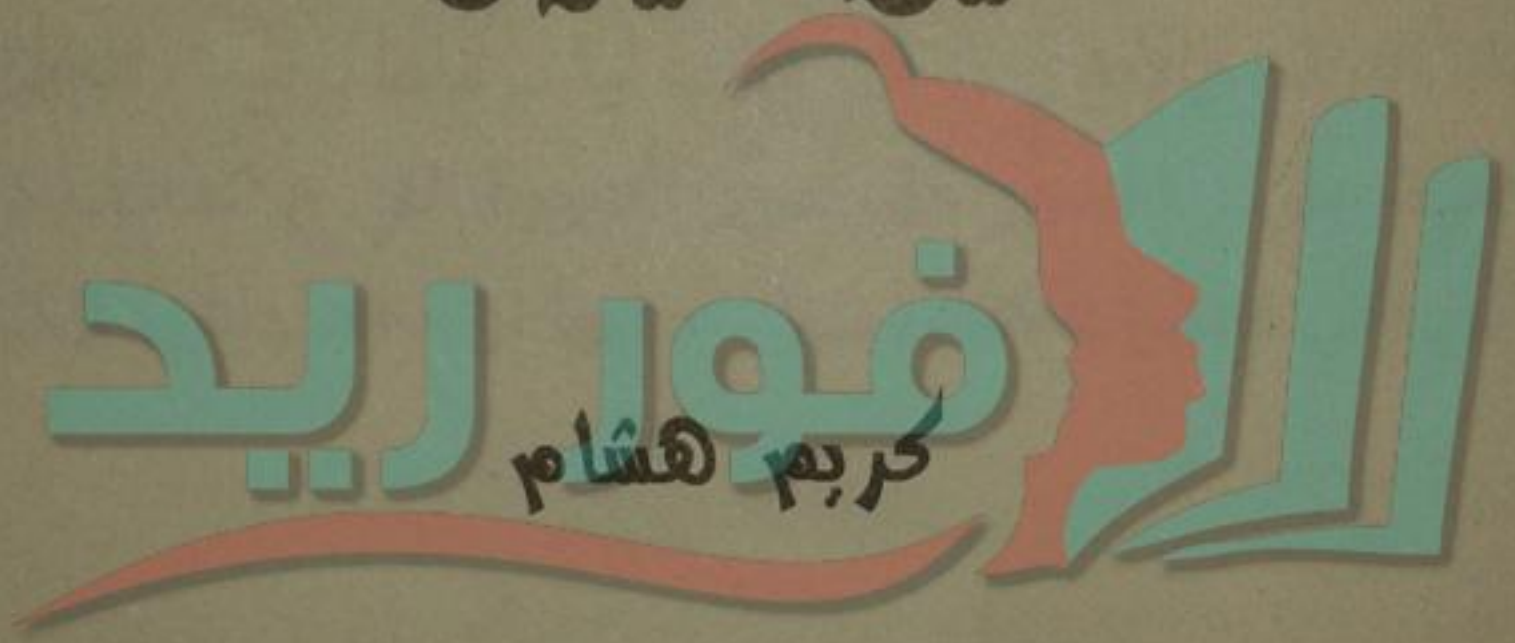

كريم هشام

الإهداء

الإهداء الدائم والأبدي في أي كتاب ليا .. ماما .. ست الحبايب إبراهيم علي .. المصور اللي صوَّر الصورة اللي ع الغلاف دي الناس اللي هتقرا الكتاب سواء عجبها أو معجبهاش، شكراً.

إهداء خاص جدًّا جدًّا جدًّا

زيزي .. حبيبتي قبل ما أعرفها من ساعة ما ربنا كتب عنده إنها تكون ليا وأكون ليها

خطيبتي بعد ما عرفتها وحبيتها، ويا رب تكون مراتي قريب أوي

وشريكتي في حياتي وفي الكتاب ده

أينعم اسمي لوحده ع الغلاف، لكن الكتاب ده هي وأنا كتبناه مع بعض.

دايما كانت قناعتي أني لو عايز أخلي حد يعيش حتي بعد ما يموت لازم أكتب عنه

وأنا عايز قصتنا دي تفضل حتى بعد هي وأنا ما نمشي من الدنيا دي

عشان كدا قررت ما أكتبش الكتاب ده لوحدي، حبيت تكون معايا فيه، بأسلوبها وطريقتها وروحها وجنانها وعفرتتها وعصبيتها وكل العفاريت اللي كانت بتطلع وإحنا مش لاحقين نخلص الكتاب

الكتاب ده كتبناه سوا، ويا رب نفضل سوا..

المقدمة

مجنون بيحب فى مجنونة .. والعقل معاهم فى أجازة
مجنونة الدنيا وملعونة .. بتجمع وتفرق ياما

مجنون وشايفها فوق الدنيا .. أجمل من أجمل بنت بنوت
مجنونة شايفاه فارس وأمير .. وكأنه بطل شايل نبوت

مجنون بيسبل لعنيها .. وشايفها تملي فى أحلامه
مجنونة بتضحك أدامه .. ضحكتها بتسعد أيامه

مجنون مش عارف آخرتها .. والدنيا طريق صعب بيمشيه
مجنونة وراضية بنصيبها .. وحالفة لتفضل ماسكة إيديه

مجنون وبيحلم يحضنها .. وياخدها ويهرب بيها لبعيد
مجنونة تملي تسلم له .. وبتحلم يوم يجمعهم بيت

مجنون بيعافر ويجرب .. والدنيا بتمشي تلطش فيه
مجنونة بتحلم علي آدّه .. وبتحلم تبقي عشانه وليه

مجنون بيحاول مش قادر .. عايز يستسلم مش عارف
مجنونة سؤالها علشانه .. أبقي أنا جنبك وتقول خايف؟

نفسي أما العمر

ياخد منا حلاوة الشكل

يسيب حلاوة الروح

وأفضل اشوف الضحكة الحلوة

زي ما كنت بشوفها زمان

نفسي أخدك ونطير لبعيد

وأقفل روحي وقلبي عليكي

نفسي أفضلك شمس وضلة

زي ما كنت تملي زمان

نفسي أبقالك نور ف العتمة

نفسي آخدك نركب مراجيح

وإنتي تقولي: يا خويا اتهد

نفسي آخدك نجري ونطنطط

بس الصحة بقت ع الأد

بقولِك إيه:

طيب تيجي نروح السيما؟

وإنت تجبلي غزل بنات

وتأكلني فـ مطعم شيك

وتجبلي فستان بفيونكة

وإنتي تسيبي إيديا وتجري

وأجري وراكي فـ نص الشارع

..

طيب تيجي نزور أهالينا

وإنت يا خويا مستعجل ليه

كلها خطوة ونبقي هناك

يالا نعيش كام يوم فاضلين

طيب يالا نروح السيما

الفور ريد

- حبيبي ممكن تناولني الدوا ده من جنبك

- عنيا، لحظة هجيبلك ماية وأجيلك

يحاول أن ينهض من فراشه دون أن يستند على عكازه، ولكنه لا يتمكن وقبل أن يقع يمسك بعكازه المستند إلى الحائط، ينظر إليها وهي شبه نائمة، يراقب تقاسيم وجهها التي عشقها في شبابه، ضحكتها الجذَّابة كانت هي أول ما لفت نظره فيها، ضحكة آسرة، تأخذك إلى عوالم بعيدة من هذا الكون، تأخذك إلى موسيقى تعزفها فرقة أوبرا عالمية لا يمكن لأذنك أن تتوقف عن سماعها ولا أن تدندن معها، هي الحياة بكل معانيها وأحلامها وآلامها وسعادتها وحزنها، هي من هي، وهو من هو. كيف استطعتِ أن تحتويني بهذه الطريقة، كيف تمكنتِ من أن تأسري روحي، وتجذبيها نحوك، فلا ترى في الحياة إلا أنتِ، كيف استطعتِ أن تجعلي الشمس والقمر والنجوم كلهم بين يدي فقط عندما تبتسمين، فتبتسم الحياة لي، تنزاح كل همومي وآلامي وأوجاعي ومشاكلي ولا ترى عيناي سواكِ، سوى تلك الابتسامة التي طالما حسدني عليها الكثيرون.

استفقت من أحلامي القديمة، وذهبت لأحضر المياه.

- اتفضلي
- تسلم إيدك يا رب
- بألف هنا وشفا
- صحيح عايزة أحضر أكل الولاد جايين النهاردة صحيني قبل ما ييجوا بساعة
- لأ ما تحضريش خليكي مرتاحة هنبعت نجيب أكل من برة وخلاص، ما هم كلهم مقضيينها أكل شارع طول النهار إن كان عيالك ولا عيال عيالك، المهم ما تتعبيش نفسك إنتي.
- يالا ربنا يحميهم يا رب ويخليك ليا دايما.
- يا ستي كفاية علينا أوي كدا، حلوين ٧٢ سنة زي الفل إحنا هننهب.
- ما تقولش كدا ربنا يباركلي في عمرك.
- ويباركلي فيكي يارب.

قام الجد استعدادًا لاستقبال أولاده وأحفاده، هم نور حياته بعدها، هم من يملؤون هذا البيت فرحًا وضجيجًا وضحكًا ولعبًا،

ينتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر حتى يأتوا، لا يعرف ماذا كان ليفعل لولاهم ولولا وجودهم في حياته.

عندما كان صغيرًا لم يكن يحبذ فكرة الإنجاب من الأساس، فكما كان يخبرها دائمًا أنها "وجع دماغ"، ولكن اختلف الأمر عندما أنجب طفله الأول آدم، ثم ابنتهم الثانية هنا، بعدها أدرك كام كان مخطئًا عندما كان يعتقد أن الأولاد هم مجرد وسيلة لتعذيب المتزوجين في الأرض، وأدرك فداحة تفكيره أيضًا عندما جاء أحفاده.

لديه أربعة أحفاد: ولدين وبنتين، هم كل ما له في الحياة، هم نور عينيه وراحة قلبه وسروره، ولكن لا أحد يسبقها إلى قلبه أبدًا، فهي عشقه الأول، وحبه الأخير، ورفيقة دربه، مَن رأت معه أجمل أيامه، وأسوأها، من تنعمت بأمواله، وعانت أياما كثيرة لأنهم لم يكونوا يمتلكون ما يكفيهم لآخر الشهر، كانت أفضل أصدقائه، وأحن خلق الله عليه بعد أمه.

توجه إلى دورة المياه، إغتسل وتوضأ ليصلي العصر، وأثناء صلاته دعا الله أن يشفيها ويعفو عنها ودعاه ألا يستردها قبله، فهو لن يتحمل لحظة واحدة بدونها، وإن أصابها مكروه سيلحق بها علي الفور، فحياته خُلقت كي يعيشها معها، يفرح معها، يحزن معها، يرى الدنيا بعينها، هي كل شيء، وكل شيء بدونها لا شيء.

بعد ساعتين تقريبًا أتى الأولاد، جرى الأحفاد ناحيته وهم يحتضنونه ويلعبون في لحيته وشاربه ...

- وحشتوني يا حبايب جدو!..
- وإنت كمان يا جدو..

قالها حفيده الأكبر، زياد، البالغ من العمر ١٩ عامًا، زياد هو أقربهم إليه، تليه ابنة عمته نور التي ستتم عامها السابع عشر- بعد أسبوعين، أما حفيداه الآخران فهما: مؤيد ولا يزال في العاشرة، ولوجي في سن الثالثة.

لدى زياد لدغة في حرف السين، ودائمًا ما يسخر منها جده، ثم يضحكان سويا.

- جدو هي تيتة فين؟
- تيتة نايمة جوة قالتلي لما تيجو تصحوها، يالا صحوها بقى وهاتوها من إيديها

يدخل الطفلان إلى غرفة جدتهما وهما يجريان نحوها

- تيتاااااااااااااا
- حبايب قلب تيتة، وحشتوني أوي..

- يالا تعالي عشان نقعد ثوا..
- ثوا تاني يا زياد مش ناوي يبني تقولها صح اسمها سوا مش ثوا، يالا طيب نروح بره..

خرجت وأحفادها يتقافزون حولها ويمسكون بجلبابها، سلَّمت على أولادها وجلست بجواره، فأمسك يدها بحنو بالغ وقبَّلها:

- حاسة إنك أحسن دلوقتي؟
- يعني شوية الحمد لله..
- ألف سلامة عليكي..

فقطاعتهما هنا وهي تبتسم ابتسامة عريضة:

- يا لهوي يا بابا، أنا مش متخيلة إن في اتنين بيحبوا بعض بالمنظر ده بعد كل السنين دي، الناس بتتجوز ويقعدوا سوا سنتين ويكرهوا بعض ويزهقوا وميبقوش طايقين يبصوا في وش بعض، إنتم إزاي حلوين كدا.
- أشرحها لك إزاي دي بس، عارفة يعني إيه تبقي روحك عايشة في الدنيا بس عشان نصها التاني عايش، يعني إيه

لو صحيت الصبح لقتها مكشرة اليوم كله يتقفل والدنيا كلها تكشر في وشي، حتى لو زعلها مش مني، ويعني إيه لما بتضحك كل مشاكل الدنيا بتهون لمجرد إنها ضحكت! دي حاجات كدا الجيل المهبب بتاعكم ده ميفهمهاش.

- ماشي يا بابا إحنا هننزل بقى نتفسح شوية ونسيبلك الولاد ساعتين كدا، يسلوك إنت وماما على ما نيجي.

- ماشي خدوا بالكم من بعض.

قام الجد وأحضر الآيباد الخاص به، ثم فتحه وجلس بجوارها...

- تعالي تعالي أما نستعيد الذكريات ونتفرج علي صورنا القديمة

- إيه دااااااااا يا ددو عايزة أتفرد معاتم..

- تعال يا زياد إنت ونور اتفرجوا على تيتة وجدو وهما صغيرين، وتعالي إنتي جمبي يا كتكوتة ددو

- الله يا جدو كان شكلكم حلو أوي..

فقالت الجدة:

- جدكم طول عمره شكله حلو..

واحتضنت يده وأمالت رأسها على كتفه، وأغمضت عينها وهي تستعيد أجمل أيامهما معًا.

فقال له زياد:

- جدو ماما بتقول إن إنت وتيتة عيشتوا قصة حب حلوة.

- قصة حب جميلة، تحب تسمعها؟

- والله نفسي من زمان أنا ونور نقولك كدا بس ماما كانت دايمًا تقول بلاش تتعبوه بالكلام..

- طول ما أنا هتكلم عن جدتكم يبقى مش هتعب ولا هزهق أبدًا، تعالوا أما أحكيلكم..

جلس زياد ونور أمامهما على الأرض، رافعين ناظريهما إلى أعلى، وهما ينظران لهما بإعجابٍ شديدٍ وهي تحتضن يده وتنام علي كتفه ...

- بص يا سيدي، أنا كنت طفل عادي خالص، كان شكلي حلو وجميل ولوني أبيض من دلوقتي كمان، كنت أول

طفل في العيلة، مش مهم أحكي كتير عن أيامي وأنا صغير؛ لأنها مش هتفرق معاكم في حاجة أوي فقصتي أنا وتيتة، هبدأ من ساعة ما كبرت وقبل ما أعرف تيتة بكام شهر، لأن اللي قبل كدا مش هيهمكم أوي برضه، حياتي مفيهاش حاجة كتير تتحكي يعني ...

- إلحق يا جدو تيتة نامت.
- إيه ده، زيزي إنتي نمتي، طول عمرها بتنام في أي حتة وفي أي وقت، كالعادة، المهم ...
- طب يا جدو قوم دخلها جوة..
- لا.. سيبها نايمة على دراعي هي بتحب تنام كدا، نكمل ولا هتقاطعوني تاني؟
- لا خلاص كمل..
- طب لحظة، زيزي اصحي عشان نحكي للولاد الحدوتة بتاعتنا، منا مش هحكيها لوحدي يعني..

بعد محاولات عديدة استيقظت، استيقظت لأنها أرادت أن تحكي هذه القصة معه لأول مرة، ليست المرة الأولى التي

يحكيها، ولكن هذه المرة أرادت أن تشاركه إياها، خاصة
وأن من سيسمعها أحفادهما وأقرب الناس لقلبيهما.
وجلس الأطفال يستمعوا، وهو يستعيد تلك الأيام ...

-٢-

استيقظت ذلك اليوم في بيت صديقي مهند، مهند الذي طالما اعتبرت بيته بيتي والعكس، أهله هم أهلي، وأهلي هم أهله أيضًا، أيام كثيرة عشناها سويا، منها الحلو ومنها المُر، مشاكل كثيرة مررنا بها، منها ما استطعنا تجاوزه ومنها ما لم نستطع، أيام كثيرة، كنت قد بدأت أشق طريقي في مجال الكتابة، لم يكن لي جمهور عريض في البداية، ولكني استطعت أن أبني قاعدة جيدة نوعًا ما، على الأقل كبداية.

استيقظت في هذا اليوم ولا أفكر سوى في الفتاة التي كنت أحادثها ليلاً، لها صوتٌ رقيق للغاية، أحببت لو سمعته مرارًا وتكرارًا دون سأم ...

- مهند بقولك إيه عايز أنزل أسحب فلوس، في فرع قريب منكم؟
- مش عارف بس أظن آه.
- طيب افتكر مكانه عشان محتاج الفلوس ضروري.
- هو بعد المزة اللي كلمتها بليل هتحتاج لحاجة، والعة معاك يا عم.

- طب نلم روحنا عشان أمك غالبًا سمعانا، ويالا ننزل الفرع قبل الزحمة.

اتجهت أنا وهو إلى فرع شركة المحمول القريب من منزله لسحب بعض الأموال، كانت الشمس حارقة، وكنت قد نزلت من منزله بشورت وشبشب شبه مقطوع وقميص ليس به أي علامات الآدمية، وشعر منكوش، وبعد عشر- دقائق من السير المتواصل وصلت إلى الفرع ...

***

و قابلتك إنت لقيتك بتغير كل حياتي ...

معرفش إزاى أنا حبيتك معرفش إزاي يا حياتي ...

و كأن جميع الأسئلة التي ترتبط بالحب خُلقت لتكون دون إجابة، فكيف ولماذا ومتى "سر" لا يعرفه إلاه هذا الغامض .. هذا الحب الرقيق حين يأتي كموجة بحر خفيفة تدغدغ أناملك لتغريك لتحتضنها وتأمن لها، يأتي مفاجئًا كالألم، مسيطرًا كالمرض، خاطفًا كالموت، غريبًا عنك كغدك الذي لا تعرفه و لست واثقاً من قدومه ولكنك تنتظره .. ليغيِّر كل حياتك.

كانت حياتي تسير بشكل روتيني جدا فما أفعله اليوم هو نفس ما فعلته البارحة وهو نفسه ما سأفعله غدًا دون جديد أو مفيد ....

- مش يالا يا زيزي؟

كان هذا صوت مديرتي في العمل، والتي تقطع دائماً حديثي مع مخيلتي دون شفقة أو رحمة، لأعود ليومي الروتيني الجديد الذي قد بدأ لتوه بهذا الصوت الذي سيغرّد الآن قائلاً:

"اخلصي يالا واقفلي الأغاني وقومي اشتغلي"..

ها قد بدأ يوم روتيني كالمعتاد، أجلس أنا ومديرتي بالعمل لا شيء مختلف "شحن بـ عشه جنيه او تجديد باكه اوسبي مودرن أو دفع فاتشورة " لأحسبن بداخلي "الـ USB Modem لو سمعت اسمها وهو بيتقال كده كانت شتمت نفسها قبل ما تتمرمط كده، حسبي الله"..

أو السؤال الذي يجعلني أريد أن أشنق نفسي بسلك كهرباء قبل إصابتي بسكتة قلبية : "هو إنتو سنتشيرال؟!"

عميل تلو الآخر.. لا شيء يتغير سوى عقارب الساعة...
يا شركة حرامية يا نصابين يا زبالة..

- إيه ده في إيه؟

- شكله شيفت ما يعلم بيه إلا ربنا

فين مدير الفرع أنا عايز المدير اللي هنا خليه يطلعلي..

- يلا يا رضوى هتوحشيني ده شكله بيتغذي على بني آدمين..

- رضوى مين!

- إنتي رضوى.. مش إنتي مديرة الفرع قابلي بقي..

- مديرة مين!

فين المدير هنا إنتي؟

- لأ إيه يا رضوى تخليتي عن منصبك في ثواني كده فين الـ Loyalty

- لو عليتي صوتك هخصملك يومين..

- بقيتي مديرة دلوقتي يعني ماشي، اتفضل يا فندم مشكلة حضرتك إيه؟

- إنتي المدير؟..

- لأ أنا مش المدير بس لو حضرتك عايز المدير ...

- هيبقوا تلت أيام..
- أنا بتسرق دلوقتي وعايز حل..
- طب قولي رقم حضرتك..
- ٠١**********
- بس ده شبكة تانية حضرتك..
- يعني مش إنتو الحرامية..
- لأ يا فندم..
- طب أنا آسف..
- لا ولا يهمك، شوفتي في مينيت خلصت معاه..
- قصدك كان هيخلص عليكي..
- بصي هو في الآخر توفيق من عند ربنا بس إنتي خوفتي..
- لأ طبعًا مخوفتش..
- يا شيخة!..
- أنا قطعت الخلف..

- يلا أهو مفيش حد في الفرع أحمدك يا رب..

لم تنته الجملة لأجد شخصين يقتربان من باب الفرع "يا راحة ما تمت"..

- خديهم إنتي يا رضوى، ولو خناقة اخصميلي عادي معنديش مشكلة

- اتفضل يا فندم، محتاجين نعمل إيه؟

- سحب كاش من خطي..

- اسم حضرتك؟

- كريم.

وأثناء ما كانت رضوى منشغلة بال Transaction كانت مخيلتي تفكر

" نمنمنمنمنم مش ده كريم هشام؟ شكله هو؟ أسلم ولا أنفض نمنمنمنمنم"

لا أعرف عنه الكثير، شاعر، أرى اسمه أحيانًا في الـ Homepage، إحدى صديقاتي المقربات من أكثر معجباته، تحدثني عنه كثيرًا، ودائمًا ما تنتهي كل جملها عنه بكلمة "بتاع بنات"..

لتقطع رضوى حديثي مع مخيلتي قائلة: اسحبي الفلوس للعميل..

لأستغل الفرصة سائلة: اسم حضرتك إيه؟

- كريم.
- كريم إيه حضرتك؟
- كريم هشام.
- أنا عارفاك مش إنت اللي بتكتب؟ أنا زيزي سيف النصر..
- آه إزيك....

ليقطع حديثي هذه المرة صديقه قائلاً: لو سمحتي جدديلي باقة الكنترول..

- بس ده مش معاد التجديد حضرتك..

ليرد بسخافة: اعتبريه Customer request وأنا ممكن ألغيها وأجددها عادي على فكرة..

تمالكت نفسي- قائلة: هو لو عشان خاطر كريم ممكن أعملهالك..

- لأ طبعاً ملييش دعوه بـ كريم أنا customer..
- تمام، اتجددت يا فندم..

فردً كريم بابتسامة : شكرًا..

غادر كريم وصديقه الفرع وبتوبيخ من مديرتي: تحت أي ظرف مينفعش تكسري الـ rules ولا حتى عشان الأستاذ عمر الشريف اللي قابل أستاذة فاتن حمامة صدفة.

لم أتحدث كثيرًا عن تلك الصدفة سوى للبعض، وكانت كلها كالتالي:

- يا بنتي أنا جالي النهاردة كريم هشام..
- الشاعر بتاع البنات ؟
- عارفه مين جالي النهاردة ؟
- مين ؟
- كريم هشام..
- الشاعر؟
- آه..
- بتاع البنات ده عارفاه..

نور زيد

لم يكن يفاجئني الرد كثيرًا؛ فكثيرًا ما كانت تتردد هذا الجملة على مسامعي من الكثير حتى أصبح اسم كريم هشام = بتاع بنات.

فقاطعها زياد مازحًا وهو ينظر لجده:

- أيوا بقى يا جدو يا Monster .. أمال ماما بتتخانق معايا لما أصاحب ليه؟

- يا حبيبي سيبني أكمل عشان أنا بـ(انسى) بسرعة..

- خلاص آسف، كملي يا تيتة..

***

- النهاردة جالي الفرع واحد كده شاعر اسمه كريم هشام..

- آه.. وبعدين؟

- ولا حاجة يا سيدي كل ما أحكي عنه لواحدة صاحبتي تقولي ده بتاع بنات..

- برنس يعني..

- برنس! هو ده ردك..

- إنتي إيه اللي مضايقك هو أنا اللي بتاع بنات ولا هو!..

- مش موضوع مين اللي بتاع بنات موضوع إن إنت شايفه برنس..
- آه طبعًا برنس عايش حياته
- طب إيه مش بتعيش حياتك زيه ليه؟
- إنتي يا بنتي نكدية ولا بتحبي النكد؟
- إنت اللي كلامك ينرفز يا يوسف..
- يووووووووووووه طب اترفزي براحتك وأما تخلصي- نرفزة ابقى كلميني..

رد فعل يوسف كان طبيعيا جدا، فاعتيادي على هذه الردود كان يجعلني أشك في الأمر إذا كانت ردة فعله مختلفة.

كان يوسف أخًا لإحدى زميلاتي وزميلاً لي في نفس الجامعة، ولكنه كان يكبرني بعامين. بدأ تعارفي بـ(يوسف) في مشاجرة بيني وبين شخصٍ آخر فتدخل هو ليحل الموقف، وحينها عرفت أنه أخو أسماء زميلتي، وكانت أولى جمله لي: "شكلك شلق بس ميبانش عليكي" . كان يوسف يتحجج كثيرًا ليبادرني الحديث متسائلاً عن مواعيد محاضراتي ليخبر أخته بها أو عن الدروس التي علينا مراجعتها أو مواعيد الـ quizzes. لم يكن يوسف يمثل

لي أي شيءٍ سوى زميل لعام كامل حتى عرض عليّ صديقه الارتباط بي فتدخل يوسف "ليفركش الموضوع" وليقنعني أن صديقه لا يناسبني إطلاقًا. بالفعل كان كذلك ولكني تعجبت لاهتمامه فأخبرني حينها أنه يحبني ويريد خطبتي، ولكنه كان ينتظرني أن أنهي دراستي حتى يخبرني. فكان يوسف يعلم أنه لا يشغل تفكيري سوى دراستي. لم تختلف معاملتي ليوسف كثيرًا بعد أن أخبرني أنه يحبني، وعلى العكس اختلفت معاملته هو، فأصبح يعاملني وكأننا مرتبطان بالفعل. كان ينتظرني بالقرب من منزلي ليوصلني إلى الجامعة، ويرسل لي رسائل أثناء المحاضرات "عارف إنك مركزة بس حبيت أقولك وحشتيني" - "الدكتور ده عينه زايغة لو كلمك هاجي أتخانق معاه" - "أنا عارف إن مكنش في مكان فاضي غير ده بس لو ممكن تبقي تقعدي جمب بنات بس في المحاضرات". لم أحب يوسف لشخصه، ولكني أحببت اهتمامه الزائد عن الحد ربما لعقدة اهتمام ما أو لأنه لم يكن يمل من هذا الاهتمام، حتى إن كانت ردة فعلي على هذا الاهتمام "تنفيض" على حسب قوله.

أنهى يوسف دراسته بالجامعة، وقبل دخوله الجيش طلب مقابلتي وحينها أخبرني أنه يريد أن يتقدم لخطبتي حتى يكون مطمئنًا عليّ وهو غير موجودٍ معي؛ فحسب اعتقاداته أن "الدبلة" ليس لها أي معنى للفتاة التي ترتديها ولكنها تعني لمن

يحاول الاقتراب منها أنها "محجوزة". لم أكن أحبذ فكرة يوسف في خطبتي قبل دخوله الجيش، لا أعرف لماذا فلم يكن في حياتي أي شخصٍ آخر، ولكن شعرت في هذا القرار بعدم الثقة في أني سأظل "Single" حتى ينهي يوسف جيشه.

وافقت على خطبتي ليوسف، وبعد دخوله الجيش لم يتبقَ لي منه سوى "دبلة" لا تعني سوى أني "محجوزة".

الأم فور ريد

الأم فور ريد

خرجت من الفرع، واتجهت مع مهند إلى منزله، وكالعادة لم أسلم من سخريته ...

- عاملي فيها إنت مشهور والناس عارفاك..
- ما لك ياض.. ما تتظبط كدا..
- والمفروض بقى إني مصاحب واحد مشهور وكدا يعني..
- يبني إنت بتجر شكلي وخلاص، أنا فتحت بوقي دلوقتي، وبعدين ما إنت عارف إن الموقف ده بيتكرر كتير يعني عادي مش حوار، خلينا نروح عشان نشوف أمك هتفطرنا إيه ولا مش هنفطر في يومك ده.
- من إمتى ياض جيت عندنا وما كلتش إحنا خيرنا مغرقك..
- طب اتفضل أدامي..
- ماشي يا عم الـ famous..
- يلعن أبو رخامتك..

مهند هو الصاحب والعون والسند في هذه الحياة بالنسبة لي، لطالما قالت لي أمي "لو طلعت من الدنيا بصاحب واحد صح تبقي كسبان"، وها أنا قد فزت في تلك الجولة.

كان كل تركيزي في تلك الفترة على كتابي الجديد، الذي لم أكن أعرف حتى هذا اليوم ماذا سيكون اسمه، كانت هناك صعوبات كثيرة في نشره، فلم يكن جاهزاً تماماً، كما أن دور النشر- أيضاً لم تكن توافق بسهولة خاصة أني جئت متأخراً كالعادة، وبعد مجهودات واتصالات كثيرة تمكنت من الوصول إلى اتفاق مع إحدى دور النشر الشبابية.

وأثناء [illegible] اتصلت بي فتاة كنت عرفتها منذ فترة، لم تكن علاقتنا تطورت بعد، ولكني فوجئت بها تتصل بي لتطمئن علي، تحدثنا قليلاً على وعد أن نكمل حديثنا ليلاً عندما أعود إلى المنزل.

لم تكن تمثل لي سوى واحدة ممن أعرفهن، وهن كثيرات، كانت علاقاتي كثيرة ومتشعبة، أحياناً كان هذا الأمر يضايقني، وأحياناً أخرى أكون سعيداً للغاية.

إذا تحدثنا من الناحية النفسية والمنطقية فلا يوجد رجل لا يسعد من إعجاب الفتيات به وكثرتهن حوله، ولا توجد فتاة مهما كان مدى التزامها لا تسعد بنظرات الإعجاب بها، طالما أنها

نظرات إعجابٍ فقط وليس نظرات تحرش، وهذه حقائق علمية مثبتة لا ينكرها عاقل، ولكن كما للأمر إيجابياته، له سلبياته أيضًا.

طلبت مني تلك الفتاة (ريهام) أن نتقابل، وبالفعل تقابلنا وقضينا يومًا جميلة سويا، أكلنا وشربنا ولعبنا ورقصنا في إحدى الملاهي الليلية المعروفة، كان يومًا جميلاً، وكانت ريهام أيضًا جميلة، طلبت مني أن نذهب لقضاء باقي اليوم في منزلها، فهي تعيش وحدها، وافقت وتحركنا.

فقاطعه زياد مرة ثانية قائلاً بحماس:

- أووووووه let's begin، بص بقى يا جدو إحنا ندخل تيتة ونور جوة وتحكيلي الحتة دي براحتنا بقى على رواقة كدا.

فقالت نور:

- ما تتلم يا زياد جرا إيه مش في بنات قاعدين.

فقال الجد وهو يضحك:

- يبني إتلم هو إنت مفيش فدماغك غير الكلام ده، ما لك شبهي وأنا صغير كدا ليه.

فنظرت له زيزي بطرف عينيها، فتراجع عما قاله:

- مش أوي يعني، متبصليش كدا طيب، المهم أكملك كلامي ...

***

طوال الطريق كنت أفكر فيما أفعله، هل هو خطأ أم لا، هل يستحق أصلاً ما أبذله من أجله سواء كان وقتًا أم أموالاً أو لا، منذ فترة غير قصيرة وأنا أفعل ما يحلو لي دون أي اعتبارات، الشيء الوحيد الذي كنت متأكدًا من صحته في هذه الفترة أني كنت أصلي بانتظام، مهما كانت أفعالي وأخطائي، كانت الصلاة هي الأمر الوحيد الذي حافظت عليه، لم أكن أريد أن أقطع كل صلة لي مع الله، حتى إن كنتُ أكثر أهل الأرض معصية.

أمسكت ريهام بيدي واحتضنتني، حتى كاد دركسيون السيارة يفلت من يدي من كثرة النشوة، جمالها، رائحتها الجذَّابة، كل شيء فيها يغري أي رجلٍ مهما كانت درجة تحكمه في نفسه. وصلنا إلى المنزل، صعدنا سويا وجلست على كرسي في الصالة، استأذنت أن تبدل ملابسها.

ظللت كما أنا، حتى حذائي لم أخلعه، كنت شاردًا لا أفكر في أي شيء، أفكر فقط أني أريد أن أرحل من هنا، لا أريد هذا، الكثير من الأفكار راودتني في الربع ساعة التي غابت هي فيها.

راودتني جميع الأفكار، بدءًا من علاقة جنسية رائعة مع فتاة يتمنى الكثيرون لو ينالون منها نظرة، دعتني إلى منزلها، مرورًا بما سأشعر به بعد ذلك.

كنت قد قرأت في إحدى الدراسات أنه عندما يقيم الرجل علاقة جنسية، يميل إلى أن يكون عنيفًا مع مَن كانت معه لإحساسه بالذنب بعد ذلك، إلا أني لم أكن يومًا عنيفًا، ليس هذا من طبعي إطلاقًا، فأنا شخص يتحرى الهدوء والسلام في كل أمور حياته، وطالما أستطيع حل أموري دون مشاكل فأنا أسعى لذلك، ونادرًا ما ألجأ للعنف في جميع أموري.

وأثناء شرودي هذا خرجت ريهام وهي ترتدي قميص نوم يشف أكثر مما يخفي، كنت أرى جسدها كله تقريبًا، وقفت أمامي وهي تبتسم وتنتظر مني أي مبادرة.

وقفت أمامها قائلاً:

- أنا عايز أمشي..
- نعم؟
- عايز أمشي الكلام واضح..
- أمال جيت معايا ليه م الأول وعشمتني..

- مدام جبتيني يبقى هتعرفي تجيبي غيري وأحسن مني، بس أنا همشي دلوقتي..
- يعني أنا نص الولاد اللي أعرفهم بيجروا ورايا، وأنا أختارك إنت منهم كلهم وتقولي أمشي إنت هتستعبط..
- لأ مش هستعبط أنا بتكلم بجد..
- ولا إنت خايف لحد يعرف وشعبيتك تروح..
- إنتي واحدة عارفة كويس إني مبيهمنيش حد ولا بيفرق معايا حد والناس كلها عارفة عني إني بتاع بنات ومقضيها وخارب الدنيا كمان..
- أمال خايف من إيه إن شاء الله..
- خايف من ربنا، بجد مش بهزر .. بعد إذنك.

تركتها واقفة في وسط الصالة وهي في ذهولٍ، خرجت وأغلقت الباب خلفي، لم أتحرك من مكاني، سمعتها تبكي، كانت تشهق بمعني أدق، وددت لو دخلت واحتضنتها واعتذرت لها، ولكني كنت أخشى من ضعفي، أنا إنسان قد أتحكم في نفسي مرة وقد لا أتحكم مرة، ولم أُرِد أن أترك باباً لهذا، فقررت أن أرحل.

ركبت سيارتي وتحركت، لم أعرف إلى أين أذهب، قررت أن أعود إلى المنزل، سألتني أمي عندما عدت أين كنت فأخبرتها أني كنت مع أصدقاءٍ لي، توضأت وصليت العشاء ثم نمت وأنا أدعو الله في سري:

"يا رب بلاش تعاقبني في حد أحبه أوي، مش هستحملها والله .. يا رب"

بعد أن أكمل الجد تلك القصة، نظرت إليه نور بإعجابٍ شديدٍ، وكأنها كانت تنتظر تلك النهاية، أما زياد فنظر له بإحباطٍ شديدٍ متمتمًا:

- يا خسارة، دا أنا لو كنت إتفرجت على Movie فيه رقاصة كنت هتبسط أكتر من كدا ..

ما إن أكمل جملته حتى وجد يد نور تضربه على ظهره بقوة، فنظر إليها مبتسمًا ولم يعقب.

الفور ريد

-٤-

مرَّ يومان على آخر مكالمة هاتفية بيني وبين يوسف، أعلم جيدًا أنه لو مرت عشر سنوات لن يبدأ يوسف في محادثتي، ليس كبرياء ولكن كِبر، والفارق بينهما كبير، ففي نظر يوسف من يضعف أولاً يتصل أولاً، وهو لم يعتد أن يكون ضعيفًا وخصوصًا "قدام ست". لو يعلم كم تمنيت أن أخبره أن هذا ليس ضعفًا بل "حب".

كان كبريائي يمنعني كثيرًا من محادثته، ولكني سرعان ما كنت أهدأ وأعاود الاتصال به "عشان المركب تمشي"..

- إزيك؟

- كويسه، إنت كويس..

- آه، الحمد لله..

- .....

- .....

- ساكت ليه؟

- عادي، اتكلمي لو عايزة..

- منا عشان كنت عايزة اتكلمت..

- وإنتي كان ممكن متعوزيش؟
- أفهم من كده إنك مكنتش عايز عشان كده متكلمتش!
- زيزي أرجوكي أسلوب اللف ده مبحبوش إنتي عارفه إني مكنتش هتصل وأديكي اتصلتي خلاص بقى..

لا أحب مجادلة يوسف كثيراً، فحتى إن تجادلنا لساعاتٍ لن يقتنع إلا بما كان مقتنعًا به منذ الثانية الأولى "جزرة وقطمها جحش" أسمعها منه كثيراً.

تعبت حقا.

***

كان موضوع ريهام همٌ ثقيلاً، لم أكن قادراً على أن أحمله بداخلي لفترة طويلة، كان يجب أن أتكلم، أن أحكي عما حدث، كنت أريد أن أستمع لصوتٍ آخر ليخبرني أني تصرفت التصرف الصحيح.

عندما حكيت لأحد أصدقائي كان رده متوقعًا للغاية:

- تصدق إنت عيل حمار، حد يبني يجيله فرصة زي دي ويقول لأ، أنا لو مكانك كان زماني مخلي صوتها واصل لإسكندرية م اللي هعمله فيها.

وبالتأكيد كان هذا هو آخر نوع من البشر أريد أن أحكي له عما بداخلي، وفي تلك الفترة كانت هناك صديقة قريبة مني للغاية، ولم تكن تصرفاتها معي تدل على أنها مجرد صديقة، ولكني لم أكن أريد للموضوع أن يتعدى تلك النقطة.

حكيت لها كل ما حدث، لم تردّ عليَّ في البداية، وظهر على صوتها الضيق، أدركت فورًا أنها شعرت بالغيرة ...

- كريم ممكن تقفل دلوقتي..

- ليه؟

- لو سمحت اقفل عشان منخسرش بعض..

- يبنتي أنا جيت جنبك؟

- يووووووووووه ما تعصبنيش بقى، لو سمحت سيبني دلوقتي.

لم أكن سعيدًا بذلك، فبينما إحساس الحب تجاهي يتنامى بداخلها، كنت أحاول صدّ جميع محاولاتها، وأحيانًا كنت أضطر لأكون صريحًا معها، وبالتالي كان من الممكن أن أجرحها بكلامي دون قصد.

كان كل همي هو وضع اللمسات الأخيرة لكتابي، كانت هي من تساعدني وتجشعني كثيراً، وقفت بجواري حتى أتممت تجميع الكتاب ومراجعته، كانت تُقسِم لي أنه سينجح وأنه سيغيِّر لي شكل حياتي.

كنت أعرف أن ردودي عليها وطريقتي يجرحانها كثيراً، ولكني لم أكن على استعداد أن أخدع أي شخص، أو أدخل في علاقة لا أريدها أو أعرف أنها حتمًا ستنتهي آجلاً أم عاجلاً، طلبت منها أن تبتعد عني ولكنها كانت ترفض ...

"أنا حابة أبقى جنبك حتى لو إنت مبتحبنيش، أنا عايزة أفضل قريبة منك لحد ما تحب بجد وتطلب مني أبعد عنك، لحد ما ده يحصل أنا معاك ومش هسيبك لحد ما تبقى أكبر كاتب في الدنيا كلها".

لم أستطع أن أبعدها أكثر من ذلك، ولكني ارتحت عندما اقتنعت أني أريدها كصديقة لا أكثر، كانت أحيانًا تسيطر علي نفسها وأحيانًا أخرى لا تستطيع، وفي إحدى المرات تقابلنا كي نتناقش في أمر الكتاب، ما إن رأتني في الشارع حتى جرت عليَّ واحتضنتني بقوة وسط ذهولي، ثم قبَّلتني على فمي متبوعة بـ "وحشتني".

ظلت هذه الفتاة في حياتي، وظللت أنا محور اهتمامها حتى قررت الرحيل، قررت ألا تبقي لأكثر من هذا، ومع أول فرصة سفر أتيحت لها ودعتني في هدوء ورحلت. حزنت على رحيلها، وتمنيت لها الأفضل دائمًا، أن تجد من يحبها حقا ويقدرها حق قدرها، أما أنا فكنت قد أغلقت بداخلي كل المنافذ إلى قلبي، يكفيني هذا.

انتظر زياد حتى إنتهى، ثم قال:

- معلش يا جدو تعقيب صغير بس..
- تعقيب جبتها منين دي!!
- ركز بس، هو لسة في حريم تاني في القصة عندك ولا إيه ظروفك؟ إنت كنت فاضي يا جدو ولا إيه؟

فقال له هامسًا:

- بص هو بيني وبينك فيه، بس يعني مش وقته هبقى أحكيلك عنهم كلهم بعدين لما تيتة تقوم عشان دول عايزين أسبوع عشان أحكيلك عنهم.
- إشطة يا Monster، عارف يا جدو أنا هاخدك مثل أعلى، آه والله..
- سيبلي نفسك بس وأنا هبوظك أكتر ما إنت بايظ..

فقاطعتهما زيزي:

- بتقولوا إيه مش سامعة؟

- لا يا حبيبتي ولا حاجة.. ده عايز فلوس عشان ينزل يلعب البتاع الجديد ده مش فاكر اسمه إيه.. إنتي عارفة عيالك ماسكين إيديهم شوية، إنت تعرف يا زياد إن على أيامنا كان في بتاع كدا اسمه "بلايستيشن" زي اللي بتلعبوه إنتو دلوقتي، وجدك بقى كان لعيب، وتيتة كانت بطيخة وكنت دايما أسيبها تغلبني عشان ما تفضلش زعلانة، وأحيانًا كنت بسيبها تغلبني عشان ألاقي حد يعشيني مش أكتر.

- زي ما أنا بسيب نور تغلبني ساعات كدا..

فنظرت له نور وهي تضحك قائلة:

- خلاص ياعم متسبنيش أغلبك تاني هتذلني ولا إيه..

فتدخلت زيزي في الحديث قائلة:

- طيب ممكن تسيبني أنا بقي أكلم شوية إنت هتاكل الكلام كله لوحدك.

- إتفضلي جنابك..

"ماذا يخطر ببالك الآن؟"

سؤال صعب ولكن إجاباته كثيرة على "الفيس بوك"، وللجميع حق الإجابة، يمكن لما يخطر ببالك أن يكون شخص ما، شيء ما، أو ربما شعور ما، ولكن ليس كل ما يخطر ببالك يمكنه أن يُكتب، ففي نظري ليست الـ "Status" سوى رسائل نرسلها تارة إلى من يقرأ ويهتم، وتارة إلى من يقرأ ولا يهتم، وتارة أخرى إلى من لن يقرأ ولن يهتم، وبمجرد الضغط على زر "Post" عرف الجميع ما يمكنه أن يكون يخطر ببالك الآن أو أنك أون لاين الآن.

- إنتي عامله أوف ليه يا جزمة..
- عشان أمثالك ميدخلوش يشتموني..
- من غير رغي كتير المعرض الأسبوع الجاي وكلنا رايحين وهتيجي معانا..
- مش عارفه هشوف..
- بقولك هتيجي مفيش هشوف دي..
- مش بمزاجي يا خلود ما إنتي عارفه..

- مش لازم تقوليله أخرجي من وراه..
- أنا فعلاً كنت محتاجه فـ حياتي صاحبة زيك إنتي أحسن صاحبة سوء في حياتي..
- ما تجيبي بوسة..
- إمواااااااااااااااااااااح

لم يكن الأمر سهلاً فالاستئذان من يوسف للـذهاب إلى أي مكـان بدونه مثـل اسـتئذان أم أن تأخـذ رضـيعها لتـذهب بـه مشـوار فتكون الإجابة دائماً "لأ".

- عشان خاطري يا يوسف.
- قولت لأ..
- طب ليه؟ يا يوسف أنا بقالي كتير أوي مخرجتش ونفسي أروح أوي..
- هفضل أقول لأ كتير..
- منـا لـو شـايفه إن ليهـا سـبب مكنـتش روحـت وكنـت سكتّ وإنت عارف عشان خاطري يا يوسف وحياتي..
- خلاص يا زيزي لو عايزه تروحي روحي..

نور زيد

لم تكن نبرة صوت يوسف تدل على الموافقة نهائيا، ولكني لم يكن ببالي حينها سوى أني سأذهب وحسب.

فقاطعتها نور:

- طب إنتي ليه يا تيتة كنتي معاه مع إنه كان باين من الأول إنه وحش؟!

- بصي يا نور، مينفعش تبقى أحكامنا ع الناس متسرعة، ممكن حد يبان في الأول وحش، وهو فعلاً وحش ويفضل وحش، وممكن حد يبان وحش بس هو جواه جميل، محتاج بس حد يساعده إنه يطلع الشخص الجميل اللي جواه، وعلى فكرة في أول معرفتي بجدك مكنش حلو ولا حاجة، بس أنا اللي صبرني عليه إني كنت متأكدة إنه مش كدا، ومش وحش، وجواه حاجات حلوة كتير وكنت مصممة إني أطلعها كلها.

***

كان معرض الكتاب قد فتح أبوابه، وكان مولودي الأول يشق طريقه وطريقي معه نحو بداية أردت ألا تنتهي أبدًا "سيلنترو إسكندرية"، أول كتبي، ثلاثة سنوات من الكتابة أراها تتجسد

أمامي، الكثير من المشاعر والأفكار والصراعات والحب والغضب بين جلدتي هذا الكتاب الصغير.

ذهبت وليس في مخيلتي سوى النجاح الذي آمل أن يتحقق، والكثير من المتابعين والمعجبين والمعجبات.

سار يومي عاديًا للغاية، وقَّعت الكثير من الكتب والتقطت الصور مع العديد ممن جاءوا لشرائه، كنت سعيدًا للغاية ..

"كريم .. يا كرييييم، تعال ياعم سلم"

كانت إحدى الصديقات، سلمت عليها من بعيدٍ وقلت لها أني سآتي بعد قليل، وقَّعت بعض نسخ الكتاب ثم اتجهت ناحية صديقاتي اللائي جئن منذ قليل:

- إيه يبني عامل إيه؟
- تمام وإنتي أخبارك إيه؟
- أنا فل، تعال سلم على الباقي بقي..

أمسكت بيدي وأخذتني تجاه صديقاتها، كنت أحمل كيسًا مليء بالشوكولاتة والجيلي كولا أحضرته لي إحدى المعجبات، وفوجئت بأن نفس الفتاة التي رأيتها قبل عدة شهور في الفرع تقف وسطهم، لم أكن أذكر اسمها، ولم تكن هي تولي لي اهتمامًا كبيرًا،

ولكنها كانت موجودة، وفجأة وجدت البنات يتهافتن على كيس الحلوى ويتقاسمنه بينهن، فقالت لي:

- إيه ده وأنا مليش..

ففتحت الكيس وأخذت منه علبة شوكولاتة وذهبت إليها:

- إتفضلي دي بتاعتك.

- شكرًا..

- إزيك؟

- الحمد لله وإنتي..

- الحمد لله، إيه بتشتري كتب ولا إيه؟

- لا أنا منزل كتاب هنا وبوقعه وكدا..

- آه آه ده أنا كنت عايزة أشتريه هو وكام كتاب تانيين..

- طب تعالي معايا نروح نجيبه..

- لا لا مش لازم أنا هبقى أجيبه..

- لا تعالي بس هنروح سوا مش هتعرفي تروحي لوحدك هتتوهي..

- يبني متخافش هعرف أروح..

- لا تعالي بس معايا..

لم أعرف سر إصراري على اصطحابها، ربما أردت أن أكون معها وحدنا، ما أنا على يقين منه أني لم أكن حريصًا على بيع نسخة زائدة من كتابي، وبالتالي لا يوجد سبب سواها، هي وحدها.

ذهبنا لنشتري الكتاب، ثم أخذته منها قبل أن تضعه في حقيبتها، فقالت:

- إيه ده بتاخده مني ليه ده كتابي!..

- لحظة يا زيزي لحظة..

- هات كتابي..

- ما قلت لحظة هو أنا هاخده وأجري منا عندي منه عشرين نسخة في البيت .. اتفضلي كتابك أهو

- شكرًا ياعم..

- العفو يا ستي..

- هروح لأصحابي بقي..

- ماشي روحي..

ظللت أروح وأجيء في المعرض، أوقِّع الكتب وألتقط الصور وأتحدث مع أصدقائي، وبعد فترة قابلتها مرةً أخرى، فقلت لها:

- اشتريتي كل الكتب اللي عايزاها؟

- لا في كتاب لسة مجبتهوش..

- طب هاتي اسمه وهجبهولك ومتوقع من صاحبه كمان، مش إنتي شغالة في نفس الفرع؟

- لأ نقلت الفرع التاني..

- طيب هعديه عليكي..

- طيب ماشي..

- طيب إيه؟

- إيه إنت؟

- هعديه عليكي بس افرضي ملقتكيش..

- تليفونك بيزمر..

- آه هيفصل شحن..

- طيب خد الشاحن ده إشحن بيه..

- بس مفيش مكان فيه فيشة..

- لأ ده مش محتاج فيشة..
- يا سلاااااااام ما شاء الله تكنولوجيا وتطور وكدا، طيب هاخده وأعديه عليكي كمان شوية.
- ماشي..
- طب هاتي رقمك عشان يعني لو ملقتكيش أو كدا..
- آآآه طيب، الرقم أهو..
- حلو أوي..
- سلام..

افترقنا ولم يتبق بعد هذا اليوم أي شيء منها، ولكن معها كتابي، ومعي رقمها، الذي لم أتصل به نهائيا، حتى إني لم أكن أتذكر أنه معي أصلاً، ولم نتحدث بعدها، ولكن بقي شيء منها بداخلي، شيء رأيته في عينيها، لم أستطع تحديده.

وهنا قام زياد صارخًا وهو يضحك بقوة:

- هو الـ power bank كان اختراع أيامها دا إحنا على كده متهنيين، أما موبايلاتنا بتشحن لوحدها طول ما

حواليها أى كهربا، بس إنت كنت بتحُكَهَا يا جدو زى ما كنتوا بتقولوا على أيامكوا..

- بحُكَهَا، يبني إنت بتكلم جدك مش واحد صاحبك في الشارع!
- معلش أنا آسف! إنت بس فاجئتني..
- يبني مش كنت شاب ومقضيها وبنات وبتاع، ولا أنا يعني اتولدت عندي ستين سنة.
- لا بس صايعة الجركة بتاعة هاتي رقمك دي، يا ريتني كنت بكتب وعندي فانز زيك.
- يبني أنا مكنتش بكتب عشان أشقط ..على فكرة إنت فاهم الموضوع غلط.
- بس بقى يا جدو وأنا اللي كنت فاكرك، أتاريك، كمل كمل..
- لا أنا هسيب تيتة تكمل على ما أعمل أنا حاجة نشربها..

الم فور يد

- زيزي إنتي فين؟
- في المعرض.
- كل ده في المعرض الساعة بقت ٦ هتروحي إمتى؟
- هروح مع صحابي ربع ساعة وماشيين..
- زيزي اركبي وروحي..
- حاضر يا يوسف ربع ساعة بس وهنروح كلنا سوا.
- سمعتي بقول إيه روحي حالاً..
- يعني الربع ساعة دي هتفرق معاك منا بروح من شغلي الساعة ١١، وبعدين هروح معاهم أحسن ما أروح لوحدي.
- خمس دقايق هكلمك ألاقيكي في التاكسي، سلام..

لم أكن أريد ليوم المعرض أن ينتهي؛ فنادراً ما أخرج مع أصدقائي وكان هذا اليوم فريدًا من نوعه فقد رأيت أشخاصًا كثيرة لم يسبق لي رؤيتهم، وصادفت كريم هشام للمرة الثانية، ورأيت مجموعة لا بأس بها من المعروفين "فيسبوكيا". اعتذرت

لأصدقائي قائلة: "هيتنكد عليا لو قعدت ثانية واحدة كمان تتعوض تاني بقى ". عدت إلى المنزل مسرعة، فوجدت والدي غاضبًا وبشدة ولا أعرف السبب ...

- كنتي فين يا زيزي؟
- في معرض الكتاب يا بابا منا قايلالك..
- ومقولتيش ليوسف..
- لأ طبعاً قولتله إشمعنا..
- أصله اتصل وسأل عليكي..
- ليه؟
- معرفش، كلميه..

أفعال يوسف الغير مبررة كانت دائمًا ما تغضبني!

- روحتي..
- آه، لسه واصله هو إنت كلمت بابا ليه؟
- عشان أعرف وصلتي ولا لسه..
- ومكلمتنيش أنا ليه..

- معرفش.
- يعني إيه معرفش إنت
- بتعمل كده ليه؟ ليه بتبوظ عليا كل يوم حلو؟
- كان حلو عشان مكنش معايا صح!
- هو في حتى وحش معاك أصلاً عشان يبقي في حلو مع غيرك..
- يعني إيه؟
- يعني بطل أسلوبك ده خلي كل حاجة ما بينا تبقى بينا لوحدينا بلاش تدخل حد.
- ده باباكي مش بابايا.
- يا سيدي.. ولا بابايا ولا باباك ولا أي حد.
- إنتي عايزة تتخانقي وخلاص..
- أنا تعبت م الخناق أصلاً.
- الخناق ده إنتي السبب فيه طول ما إنتي بتتصرفي على مزاجك ومبترجعيليش يبقى هرجع للي يعرف يشكمك لحد ما تبقي في بيتي وأشكمك أنا.

- تشكمني! هو أنا جايه من كباريه، أنا كنت في المعرض يا يوسف وقولتلك قبل ما أروح.
- وليه أصلاً تطلبي تروحي مكان مش هكون معاكي فيه؟
- طب وإنت وافقت إني أروح ليه؟
- عشان أشوف هتروحي ولا لأ..
- إيه الجو ده؟ أنا مبحبش الطريقة دي..
- ليه في طريقة حد تاني حبيتيها عشان كده مش حابة طريقتي!..
- إنت إزاي تقول كده؟
- لو هتعيطي اقفلي وخلصي عياط وابقي كلميني أنا مش ناقص نكد..

أصبح وجود يوسف في حياتي كوجود الرادار على الطرق السريعة لا يرصد سوى الأخطاء فقط حتى وإن كانت غير مقصودة. أصبحت أشعر وكأن دبلته ليست سوى "كلبش" يربطنا معًا، وكل منا ينظر في الناحية الأخرى. شعوري أني ما زلت صغيرة ولي حق العيش مثل جميع الفتيات في عمري

"أخرج وأتفسح وأتنطط"، وشعور يوسف أن هذا لا يعني سوى عدم الاهتمام به.. أنى أستطع أن أشعر بالسعادة في حين أنه "محبوس".

- ها خلصتي عياط؟
- أنا آسفة!..
- يا سلام..
- بقولك آسفة.. خلاص بقى أنا كنت مخنوقة وبقالي فترة كبيرة مخرجتش ولا شوفت أي حد، وبعدين أهو يوم وعدى.. وحلني بقى على ما يتكرر..
- وإنتي ناوية تكرريه؟
- آه طبعاً، بس وإنت معايا حلو كده؟
- آه حلو..
- مفيش وحشتيني..
- مش أما أحس إني واحشك الأول..
- أكيد يعني أنا بقالي قد إيه مشوفتكش.

لم أكن فعلاً أشعر بالاشتياق ليوسف. فقد اعتدت ألا أراه وألا نتكلم سوى مرات قليلة جدا أحاديثنا بها مكررة ولا تختلف أو تطول إلا حينما نتشاجر.

عند تلك النقطة كان الجد قد عاد وهو يحمل صينية بها أربعة أكواب من الشاي باللبن:

- اتفضلوا، الشاي باللبن ده مشروبي المفضل أنا وتيتة، نكمل بقي...

***

- كنت فين النهاردة يبني؟
- كنت في المعرض بوقع الكتاب وكدا..
- والعة يا معلم توقيعات وصور ومعجبات ومقضيها..
- عارف ياض قابلت مين النهاردة؟
- مين؟
- فاكر البنت اللي قابلناها وأنا بسحب فلوس من الفرع اللي جنبك؟
- أنهي دي كان في إتنين؟

- عارف اللي إنت قلت عليها رخمة مبتحبهاش؟
- اوعا تقول هي..
- لا بقى اللي كانت جنبها..
- اللي رخمت عليا دي..
- لأ معلش إنت اللي رخمت مش هي .. ودي مش قضيتي دلوقتي..
- طب وبعدين حصل حاجة يعني؟
- لأ عادي كلام عادي مفيش حاجة مهمة..
- يا عم فكك أهي واحدة زي اللي بتعرفهم كل يوم هتفرق إيه يعني، يومين وتعرف واحدة غيرها ومن كل بستان شجرة يا عم الدنجوان..
- يمكن.
- يمكن إيه..
- يعني يمكن يكون كلامك صح ويمكن لأ، بس هي عجباني..
- ما إنت بتعجبك بنات كتير..

- لأ هي دي بالذات عجباني في حاجة غريبة مش عارفلها سبب!
- فكك م الهري ده هنلعب بلايستيشن النهاردة؟
- وش يا معلم..
- ع المشاريب؟
- ع المشاريب.

أعتقد أن الخطأ في هذا الأمر بسببي، الجميع يتعامل مع علاقاتي العاطفية باستهتار شديد، ربما لأني أنا من أتعامل معها باستهتار أولاً فانتقل هذا الإحساس لكل من حولي.

لم يكن هذا بخاطري أبدًا، ولكن قد تتعرض لمواقف لا يمكنك أن تخرج منها بسهولة، مثل أن تحب أحد ثم يموت أمام عينيك مثلاً، حادثة كتلك لا يمكن أن تمر عليك مرور الكرام، ستظل أمام عينيك لسنواتٍ طويلة، وكما قلت لأحد أصدقائي ..

"كتر الفراق بيعودك ع الوجع لحد أما متبقاش حاسس أصلاً، وترتبط وتسيب وإنت مش حاسس إن في حد دخل أو خرج من حياتك، ومبيبقاش في حد فارق معاك، وقلبك بيموت تدريجيا،

لحد ما يموت خالص، وساعتها كل الناس بالنسبة لك بيبقوا عبارة عن صور متحركة لا أكتر ولا أقل".

سمعت أمي تتحدث مع شخصٍ ما على الهاتف قبل ذلك، وهي تقول له:

"أنا ابني مبيدخلش علاقة وهو مش جد، بس هو مبيعرفش يختار، بيختار بسرعة، والسرعة دي بتخليه يفركش على طول، معرفش هو مستعجل على إيه"

لست عجولاً، ولكني اعتدت أن يكون هناك دومًا من هو مهتم بي، قد يكون هذا مرضًا نفسيا، أو قد يكون له تفسيرٌ في علم النفس، لا أدري، ولكني أعترف بعيوبي ومميزاتي، وأعرف ما الذي أريده والذي لا أريده، أعرف جيدًا أني شخص يحب الاهتمام، أحب أن أكون أنا المركز والأساس.

روتينية كل شيء حتى وجود يوسف أو "وجود عدم وجوده" أصبحت تجعلني أبحث عن أي شيء آخر يشغلني ويملأ فراغي، حتى إني أحيانًا كنت أتخيل وجود أشخاص آخرين أتحدث معهم. أو أتحدث مع صديقاتي على الهاتف لساعاتٍ وأخترع مواقف خيالية أيضًا بيني وبين يوسف لأقصّها عليهم، فأنا أمام الجميع أعيش قصة حب وهمية كما هي في الواقع "وهمية". لا أعرف لماذا كنت أرفض أن أقص حتى على أقرب صديقاتي أو أيا من أقاربي حقيقة ما بيني وبين يوسف. حتى يوسف لم يكن يعلم أني أقصّ عليهم ما لا يفعله وما كنت دائمًا أريده أن يفعل. فعندما اتشاجر معه ويدافع عن نفسه قائلاً: "أنا معملتش حاجة" - كنت أتمنى أن أردّ عليه قائلة: "ده اللي إنت عملته إنك فعلاً معملتش حاجة أنا يمكن ساعات بغلط بس إنت مبتطبطبش إنت بتعاقب وبس وأنا باجي بالطبطبة، الطبطبة بس".

كانت القراءة من أهم وأكثر المسليَّات في حياتي، فلم أجد غيرها يستطيع أن يأخذني من روتينية أيامي التي لا تنتهي. وأثناء اختياري لكتاب أقرأه مرَّ عليَّ اسم (كريم) بعد أن رأيته في المعرض للصدفة الثانية على التوالي، يوم قررت أن أقرأ كتابه بعد

فترة لا بأس بها من يوم المعرض، فوجدت في أول صفحاته توقيعه:

" فرصة نضيفة آخر حاجة ..

كريم هشام ..

٢٣-١-٢٠١٤ "

ابتسمت حين رأيت توقيع كريم الذي شاهدته للمرة الأولى حينها، ولكن ما كان يتردد في عقلي هي كلمة واحدة فقط:

"بتاع بنات"

ترددت هذه الجملة كثيراً يوم المعرض، فقد سمعتها من كل مَن رآني مع كريم حين اصطحبني لشراء كتابه في نصيحة منهم بالابتعاد عن الذئب البشري ومحطم قلوب العذاري كريم هشام.

لم أهتم كثيراً بما قيل لي؛ فـ " أنا مخطوبة وهو مجرد كاتب واشتريت كتابه عادي لا أكتر ولا أقل".

***

بعد معرض الكتاب مرت أيامٌ كثيرة، مشاكل تنتهي وتبدأ غيرها، وبطبيعتي أنا شخص سريع الغضب، سريع الإحباط، لصبري حدود ضيقة للغاية، وملول جدا، كلها أشياء لم أستطع معالجتها بسهولة.

عرفتُ الكثير من الفتيات، علاقات تبدأ ثم تنتهي دون أي مشاعر، اعتدت ألا اتعلق كثيرا بالأشخاص بعد أن مررت بأحداث غير سعيدة، اعتدت ألا أغضب عندما تتركني إحداهن، ودائما كان الرد حاضرا ...

"برحتك عايزة تمشي امشي محدش بيمسك في حد عشان يقعد معاه" .. ودائمًا ما كانت "تمشي"، ودائمًا ما كنت أذهب للعب البلايستيشن في نفس اليوم.

كنت قد وصلت لمرحلة نفسية سيئة للغاية من اللامبالاة، اللارغبة، اللاحب، اللاشعور، اللا كل شيء جميل في النفس البشرية، كانت حياتي تتلخص في نقطتين: علاقات عابرة والعمل، حتى العمل لم أكن أهتم به كثيرًا، لدرجة أني شتمت مديري في إحدى لحظات غضبي، وكاد هذا يتسبب في رفدي ...

- إنت يعني مش فارق معاك حاجة..

- آه مش فارق اعمل اللي تعمله..

دائمًا ما كانت معاركي مع مديري تنتهي بتلك الجملة، ويعلم الله كم كنت صادقًا حينها، وكم كنت غير عابئ بشيء، ماذا سيحدث أكثر مما هو مكتوب لي من قبل أن أولد، لا شيء.

لم تكن لديَّ يومًا رغبة في الانتحار أو حتى الإقدام عليه، لم أكن أحب تلك الفكرة، لحياتي موعد ستنتهي فيه، وحتى هذا الموعد سأعيش، لا أعرف نوع الحياة التي سأعيشها تحديدًا، ولكني سأحاول على الأقل، سأحاول أن أكون سعيدًا، سأحاول أن أعتاد على ما يكدرني، وسأحاول أن أتعامل معه بشكلٍ مختلف، أحتاج لتغيير نظام حياتي، أحتاج لتغيير خطتي وأولوياتي، والأهم أحتاج لتغيير طريقتي في الحياة، وخاصة مع الجنس اللطيف بأكمله .. وقد فعلت.

إتخذت الكثير من القرارات بخصوص هذا الموضوع، وكان القرار الأساسي هو "هتلم وهبطل عط" .. كنت قد وصلت لمرحلة متقدمة من كره الذات، لم تكن لديَّ القدرة على احترام نفسي- حينها، كان أصدقائي يرون أن ما أشعر به زائد عن الحد وغير مبرر، ولكن بالنسبة لي كان الأمر مختلفًا، وكان ردي عليهم واحدًا لا يتغير ...

"طول ما إنت وسخ ربنا مش هيرزقك بواحدة نضيفة، فأنا عايز أنضف عشان ربنا ميعاقبنيش في واحدة أحبها أوي وبعدين تختفي وملقهاش".

بعد فترة غير قليلة، استطعت أن أعالج نفسي- بنفسي- ازداد تحكمي بنفسي كثيرًا، حاربت كثيرًا كي أحيي قلبي من جديد،

كنت أكره أن يموت، وأكره أن أستسلم، طالما أن قلبي ينبض فلا بد أن يعيش كما أريد له.

كل ما فكرت فيه في تلك الفترة أن أعالج أخطاء الماضي، سأحاول، لا توجد مشكلة إن فشلت، الفشل لا يعني نهاية العالم بل يعني أننا يجب أن نحاول من جديدٍ حتى ننجح، لا يهمّ إن فشلنا مائة مرة، فبالتأكيد سننجح في المرة رقم مائة وواحد.

بدأت في معالجة الكثير من أخطائي ونجحت في هذا، أحيانًا كنت أضعف، أو أفشل، ولكني كنت مصممًا على النجاح، على أن أتغير، وأول ما حاربت من أجله هو التسرع، قررت ألا آخذ قرارات متسرعة أو غير محسوبة، قررت أن أتأنى في اختياراتي الحياتية كلها، ونجحت في هذا، حتى قابلت مريم.

قابلت مريم صدفة عندما جاءت إلى مكان عملي لتنجز بعض الأشياء، لم أتعرف عليها في البداية، ولكن تعرفت عليَّ هي ...

- إيه دااااااااااا كريم إزيك يبني واحشني.
- معلش أنا معرفكيش مين حضرتك..
- يبني أنا مريم كنت معاك في المدرسة، ميس حنان، طب ميس دعاء هههههههههه.

- إيه اللي هههههههههههه هو ميس دعاء بتضحكك؟
- يبني لا بفكرك بس..
- آآآآآآآآآآآآآآآآه مش إنتي مريم اللي الواد محمد كان بيبوسك لما الفصل بيبقي فاضي وأنا قفشتكو سوا قبل كدا..
- هههههههههههههههههههه أيوا أنا..
- هههههههههههههههه إيه السعادة اللي إنتي فيها دي..
- هههههههههههههه مش عارفه.
- هههههههههههههه شكلك اتهبلتي لما كبرتي، عامة أهلاً وسهلاً.. فرصة سعيدة يعني..
- أنا أسعد بص ده رقمي ابقى كلمني بقي لما تفضى- اتفقنا؟
- إشطة هكلمك..

رحلت مريم وقد حطمت كل آمالي في هذا الاسم، كنت أفكر إن كانت قد أصابها مرضٌ نفسي ما جعلها تضحك بين كل جملة

وأختها، هل هي "هبلة" مثلاً، أو قد تكون مريضة فلا يجب أن أسخر منها، خفت أن أهاتفها عندما انتهيت من عملي، ولكن لا بأس لن أخسر شيئًا، هي زميلة دراسة قديمة لا شيء أكثر من هذا.

ضحك زياد بقوة، وهو يقول:

- إيه يا جدو البت العبيطة دي..

- بت، يبني دي زمانها عندها أحفاد زيك كدا إتلم شوية واحترم اللي أكبر منك، الواد ده طالع كدا لمين..

لتقاطعه زيزى، وهى تبتسم:

- بذمتك مش عارف طالع لمين، العرق دسَّاس يا عم الحبيب، وإنت الله ينور لسانك كان بينقط سكر، مكنتش بتطلع منك العيبة.

- تريقة دي صح؟

- بصراحة آه..

- طيب.

***

"أخيرًا بقي دنا نفسي أقول لنفسي كفارة"

كانت هذه ردة فعلي بعد أن وافق يوسف أن أخرج مع صديقتي المقربة التي لم أرها منذ خمسة أشهر بعد محايلات عدة وقسم أني لن أتأخر. ندى هي أكثر أصدقائي قربًا مني وأكثرهم أيضًا ابتعادًا، تعرفت عليها في البداية كمجرد زميلة عمل حتى أصبحت "My Soul Mate" كما أناديها. فهي بالفعل توأم روحي، تشابه ردود أفعالنا وطريقتنا في الكلام حتى أحلامنا يجعل البعض أحيانًا يظن أن هذا نتيجة لصداقة عمرها أعوام كثيرة. ربما لهذا سبب أننا مواليد نفس البرج، و "عقربية" الطباع تطغى على أفعالنا فنتصرف كما لو كنا شخصًا واحدًا، لم أكن أؤمن بهذه الخرافات حتى قابلت ندى وحينها أدركت أن للأبراج أو ربما للعقرب تحديدًا ظروف أخرى. تزوجت هي قبل خمسة أشهر ومن وقتها لم أرها. كانت تعلم أني غير راضية عن هذه "الجوازة"؛ فأنا ضد الجواز بدون حب وحينما عارضت زواجها ردَّت عليّ قائلة: "قولي لنفسك". رغم أني لم أكن أحكي لندى كثيرًا عما يدور بيني وبين يوسف إلا أنها كانت تعلم كل شيءٍ دون أن أتفوَّه بكلمة واحدة، يكفيها أن تنظر إليّ وتترجم كل شيءٍ كما أفعل معها تمامًا.

- وحشتيني.

- ما إنتي اللي واطية ومبتسأليش من ساعة ما إتجوزتي إحكيلي الجواز حلو؟
- بتسألي ولا بتطمني؟
- مش فاهماكي!
- عقرب يا صغنن!!
- هههههههههه بتطمن عليكي طبعًا.
- مش ده قصدي وإنتي عارفه إن إنتي بتطمني على نفسك.
- ليه مصممة تقارني علاقتي بيوسف مع علاقتك بأشرف مع إنه مفيش أي مقارنة..
- يمكن الأحداث مختلفة بس النتيجة واحدة.
- لأ أنا مرتبطتش بيوسف وأنا بحب واحد تاني، مش قصدي...
- مش لازم تقصدي يا زيزي، بس أنا خايفة عليكي إحنا الاتنين واحد في كل حاجة بس أنا مش عايزاكي تبقي زيي؛ أنا فضلت أحب واحد ٧ سنين وأما اتقدم لي واحد

تاني قالي لو كويس اتجوزيه متخيلة الوجع؟ متخيلة قد إيه؟.. أهو كل الوجع ده ولا حاجة جمب إني نمت على سرير واحد مع حد مبحبهوش، ولا حاجة جمب إنك متقدريش تديله أقل حقوقه عليكي أو تديهاله وإنتي مغصوبة، ولا حاجة جمب إنك كل يوم بتقومي وتنامي وتعملي نفس الحاجات اللي أي واحدة بتعملها لجوزها بس عشان مش بتحبيه بتعمليها وإنتي حاسة إنك خدامة، والفرق اللي بينك وبينها إنه بينام معاكي آخر اليوم وبردو عشان مش بتحبيه بتفضلي قرفانة من نفسك وبتفكري في الانتحار ١٠٠ مرة بس بيصعب عليكي نفسك مش عايزة تموتيها كافرة وهي أصلاً ملحقتش تعيش، زي ما إنتي مش بتحكي أنا مش بحكي، مش بحكي إن أشرف عشان يعرف ينام معايا "اغتصبني" ..عارفه يعني إيه جوزي اغتصبني.. تفتكري ده لو كان أحمد كان هيبقي ده حالي معاه، عارفه إن أشرف ملهوش ذنب بس أنا مش عايشة يا زيزى أنا بقيت زي اللي لابس بدلة حمرا ومستني معاد إعدامه عشان

يرتاح، أنا هفضل مع أشرف وهكبر وهخلف وولادي هيكبروا زي ما كل الناس بتعمل بس عمري هيضيع وأنا مش مبسوطة ومش هعرف أبقى مبسوطة، لو مبتحبيش يوسف سيبيه والحقي نفسك بدل ما تندمي ألف مرة أما تشوفي عمرك بيضيع و...

- كفاية يا ندى!
- مش كفاية لحد ما تفوقي..
- فايقة يا ندى، أنا هقوم أمشي عشان اتأخرت.

وقع كلام ندى عليّ كالرمال التي تُرمى علي المحكوم عليهم بالموت وهم أحياء. تذكرت كل ما بيني وبين يوسف من يوم عرفته. لم يكن يتردد في مخيلتي سوى آخر جملة قالتها لي ندى قبل أنا أغادر:

" إوعي تعيشي يوم وإحساسك ميت بكل حاجة حواليكي، هتتعودي، هتبقي عايشة لأنك بتتنفسي وبس! إوعي "

وعلى عكس ما أرادت مني ندى أن أفعل، فقد قررت أن أعطي ليوسف ولنفسي فرصة أخرى لإحياء ما مات بيننا من مشاعر، قررت أن أحبه.

لم أفكر كثيراً، أمسكت بهاتفي وكتبت رقم يوسف، وقبل أن أتصل به ضغطت علي Edit وغيرت اسمه إلى "حبيبي" ثم اتصلت به:

- ألو
- وحشتني..
- ألو
- وحشتني..
- ألوووووووووو
- مش سامع ولا إيه الشبكة عندك وحشة؟
- لأ سامع إنتي بتكلمي مين؟
- بكلمك إنت وبقولك وحشتني..
- هي دي ليا؟
- آه..
- طيب! إيه متصلة ليه؟

كاد رد يوسف أن يقتل كل ما أردت أن أحييه حتى قبل أولى محاولاتي

لإحيائه، تمالكت نفسي وفكرت قليلاً وأعطيته عُذر أنه ربما غير معتاد مني على مثل هذه الرومانسية فعليَّ أن أتحمل كي أصل إلى ما أريد، وإلا سيكون مصيري تمامًا مثل مصير ندى. رددت علي يوسف ولكن بدلع أكثر:

- متصله عشان أقولك وحشتني..

- مممممممممممممم وده من إيه؟

- من إني قررت إن من النهاردة في زيزي جديدة مش هتعمل حاجة ليوسف غير إنها تحبه وبس.

- زيزي إنتي كويسة؟ في حاجة حصلت عند صاحبتك؟

- لأ أنا مش كويسة.

- مالك؟

- بحبك..

فقاطعها الجد، وهو ينظر لها بحدة قائلاً:

- ما خلاص إيه هنقعد نرغي في موضوع يوسف ده ساعة، وبحبك وزفت، ما تلمي روحك.

- جرا إيه إنت هتغير من واحد زمانه ميت دلوقتي.

- آه إن كان عاجبك.

فنظرت لهما نور وهي تضحك بخبث قائلة:

- والله العظيم إنتو so cute إنتو الاتنين، أنا بس لو ألاقي واحد يحبني زيك كدا يا جدو هتشعبط في رقبته.

فنظر لها زياد بطرف عينيه هامسًا:

- وحياة أمك لما نقوم من هنا.

كان الصمت هو سيد الموقف بعد الجملة الأخيرة، حتى قطعته نور، وهي تقول:

- بس أنا متأكدة يا تيتة إن مفيش حاجة من دي كانت بجد، لا هو وحشك بجد ولا بتحبيه بجد، إنتي كنتي بتحاولي تعملي اللي عليكي للآخر عشان محدش يرجع يلومك بعد كدا.

-٨-

اتصلت بمريم كما طلبت مني، صادف أنها كانت قريبة مني فطلبت مني أن أذهب لأجلس معها هي وبعض أصدقائها ثم ستتركهم لنجلس وحدنا، لم أمانع واتجهت للزمالك، دخلت الكافيه وبحثت عنها بعيني حتى وجدتها ...

- كريسيسيسيم إزيك منور..

- إنتي لسة بتضحكي من ساعة ما سبتيني الصبح، لأ كدا كتير..

- ما تخفش أنا مش هبلة، يا عم أنا واحدة بتحب تضحك وتهزر كتير، هنكد على نفسي ليه، أنا أحب أخلص شغلي وأخرج وأتفسح وأقابل أصحابي وأتنطط وممكن أرقص وأضحك كتير أوي، بذمتك في حاجة تستاهل؟

- الصراحة لأ..

- يبقي فك كدا، تعال أعرفك على أصحابي..

عرفتني على أصدقائها، كانوا أربعة أولاد وست بنات هي واحدة منهن، كنت جائعًا فطلبت طعام لي، لم أستطع أن أنخرط وسطهم كثيرًا، لم أحبهم، هم لا يشبهونني، لا في طريقة الكلام

ولا التصرفات، رغم أن المعروف عني أني أستطيع التعامل مع جميع الشخصيات من أول الوزير حتى الغفير، ولكني لا أحب التعامل مع من لا يشبهني خاصة وإن كانت المسافة بيننا بعيدة للغاية، ربما تكون من عيوبي أن ما بداخلي يظهر على وجهي، لا أستطيع أن أخبئ مشاعري، وقد تكون من مميزاتي، لا أدري تحديدًا.

كانوا يتحدثون عن أمورٍ كثيرة، كلها لا تهمني تقريبًا ...

"شوفتي آخر صورة لعمرو دياب واو تحفة"

"أنا رايحة حفلة حماقي حد هيجي معايا"

"بقولكو يا بنات إيه رأيكو نروح ديسكو نرقص ونتبسط بس أنا مش هشرب عشان مامي منعاني م الشرب"

كلها جمل من هذه النوعية، وعند نقطة معينة لم أحتمل كثيرًا، فناديت على مريم:

- مريم بقولك إيه هو أصحابك كلهم كدا؟
- يعني إيه؟
- يعني هي دي أقصى طموحاتهم في الحياة؟
- يا سيدي كل واحد ودماغه..

- على رأيك بس كدا الجو ده مش أنا خالص..
- يعني إيه؟
- يعني مش واكل معايا؟
- واكل؟
- يعني مش هارش خالص الليلة دي، العيال دي سيس جدا، بصي أنا مبحبش أحكم على حد ومقتنع إن كل واحد برحته، بس أنا مش هعرف أتعامل معاهم يعني، معرفش أنا أقعد مع ناس كل مشاكلهم في الحياة عمرو دياب وحماقي، بصي خلينا نقوم من هنا.

وأثناء حديثي معها قاطعنا أحد أصدقائها موجهًا حديثه إلى:

- ما لك يا هندسة كدا مش داخل في القاعدة ليه؟
- لا والله مفيش، سايبكم برحتكم بس.
- يا راجل دوس معانا كدا وفكها، بتشتغل إيه؟
- بشتغل مترجم.
- يا راجل حد يشتغل مترجم ما جوجل ترانسليت موجود يعني بتنجز شغلك عليه بسرعة هاهاها..

- معلش الجهل وحش.
- قصدك إيه؟
- قصدي إنك بتتكلم في حاجة مش فاهمها فهعمل نفسي- مسمتعش حاجة، لو جوجل كان بيحل كل مشاكل الترجمة مكنش بقى في شغلانة اسمها مترجم.
- وعلى كدا بتقبض كام يعني م الشغلانة دي؟
- وإنت مالك؟
- نعم؟
- في بلاد برة اللي واضح إنك متأثر بيها لو حد سأل حد سؤال شخصي جدا زي ده ممكن يبلغ عنه ويحبسه.
- ما لك يا عم قافش ليه يعني ده سؤال عادي..
- عامة بقبض اللي يكفيني ويعيشني راضي ومبسوط..
- وبتعمل إيه تاني في حياتك؟
- بكتب.
- هههههههههههههه يا راجل بتكتب إيه؟

- بـكتب شعر وقصص..
- آه كلام فاضي يعني..
- آه بظبط أنا بكتب كلام فاضي، زي دماغك بالظبط.

قام في محاولة للإمساك بي، ولكني طرحته أرضًا بحركة سريعة:

- بص يا روح أمك، تنطيط عليـا مبحـبش، وواحـد دماغـه وسخة زي دماغك ما أحبش إني أتكلم معاه، ولو فكـرت تمـد إيـدك عليـا تـاني لـو حصـل واتقابلنـا صـدقني هقطعهالك فـاهم ولا تحـب أخـلي عمـرو ديـاب يجـي يعملك زيارة في المستشفى؟

تركته ورحلت من المكان مـسرعًا، لحقـت بي مـريم في محاولة لتهدئتي، تركتها ومشيت، ولكنها لحقـت بي مـرةً أخـرى وركبـت بجواري في السيارة.

سرت بالسـيارة بـسرعة حتـى وصـلت إلى إحـدى المنـاطق عـلى كورنيش النيل، نزلنا من السيارة فوقفت بجواري:

- ما لك يبني في إيه؟
- مفيش حاجة.

- شخصيتك مكنتش كدا زمان.

- هو يعني في حد بيفضل على حاله يا مريم؟

- طب صلِّ على النبي كدا.. تعال نقعد ونضرب كوزين درة أكننا اتنين حبيبة.. تعال وفك كدا، هو عيل تافه أنا عارفة بس هم دول أصحابي هعمل إيه، معرفتش حد غيرهم.

- أحسنلك تبقي من غير صحاب لو دول صحابك.

تحدثنا يومها كثيراً، حكى كلٌّ منا للآخر ما حدث في السنوات الأخيرة، أخبرتني عن دراستها في الجامعة الألمانية، كانت سنوات الدراسة عادية للغاية، مرت فيها بتجربة عاطفية واحدة انتهت بأن حاول هذا الشخص التعدي عليها مما سبب لها أزمة نفسية كبيرة، وكانت تتعالج لدى طبيب نفسي لمدة عامين حتى شُفيت مما كانت فيه، منذ هذا الحين قررت أن تكون سعيدة، أن تسعد في كل لحظات حياتها، أن تعيش تلك الأوقات حتى النهاية.. أما أخوها فهو ناشط ثوري، قُبض عليه عدة مرات، وتعرف الأجهزة الأمنية طريقهم إلى بيتها ليعتقلوا أخاها من حينٍ لآخر حسبما تقتضي الظروف، أما أبوها فهو رجل أعمال مشهور، ولكنه لا يعتني بهم ولا يعطيهم إلا القليل من المال

منذ أن انفصل عن أمها، ولـذلك اضـطرت للعمـل حتـى تساعد والدتها في مصاريف البيت.

شعرت أني تـسرعت في الحكـم عليهـا، اعتـذرت لهـا عـن وجهة نظري التي بنيتها بناء على أول مقابلة بيننا، وتقبلـت اعتذاري، حكيت لها أيضًـا عـما فعلتـه بي السـنوات الماضـية وعـن عملي وأهلي، وانتهى اليوم نهاية رومانسية للغاية.

مرت أيام عديدة ونحن نرى بعضنا يوميـا، كنـا نقـترب كـل يـوم أكثر من ذي قبـل، حتـى جـاء يـوم واعترفـت لي أنهـا تحبنـي، لم أقاوم كثيرًا؛ فهي جميلة ورقيقة ومثقفة ومرحة وبها الكثير من الصفات التي يستعصي على أي رجـل أن يرفضـها، كانـت هنـاك بوادر علاقة عاطفية في الأفق، ولكني كنت أريد أن أكون حذرًا؛ حتى لا أكرر أخطاء الماضي.

لم يظهر لي أي بوادر سـيئة، إلا أني لاحظـت أنهـا تطلعيـة بعـض الشيء، وهذا ما أكدته لي أمي عنـدما رتبـت مقابلـة بينهـا وبـين أمي ليتعرفا على بعضهما البعض، فقالت أمي ليه:

"البنت دي مش هتنفعك، اسمع مني".

تعاركت مع أمي ظنًا مني أنها تفتري عليها.

لطالما مرت مواقف كثيرة بيني وبين أمي في هذا السياق، تخبرني بشيءٍ ما وأعاندها ثم أكتشف أنها عـلى حـق في النهايـة، وهـذه

المرة عاندتها أكثر من أي مرة سابقة، لم أجد ما يعيب الفتاة حقا، كانت تفعل لي كل شيءٍ، ولكني كنت حذرًا، لا أعرف لماذا ولكني لم أكن أنوي أن أتورط عاطفيا حتى أكون على يقين مما أنا مُقدِمٌ عليه.

الأهرام فور ريد

-٩-

لطالما كنت أؤمن أن اليقين لا يوجد سوى اليقين بالله وأن الموت قادم لا محالة، أما اليقين بأي شيء آخر فهو أمر خاطئ، كلها احتمالات لا أكثر ولا أقل، لا يمكن لأي شخص أن يضمن أي شيء، سواء استمرارية علاقة ما أو استمرارية عمل معين، قد ينتهي كل شيء في لحظة، وأتذكر أني عندما أظهرت خوفي من تلك العلاقة وتوابعها وأني لا أضمن استمراريتها لأحد أصدقائي، قال لي:

"إنت مش مغسل وضامن جنة، مفيش حد ضامن حاجة، اتنين بيعشقوا بعض سنين ويكافحوا ويتجوزوا ويتطلقوا بعد ست شهور، واتنين يتجوزوا جواز صالونات ويحبوا بعض ويكملوا حياتهم لحد ما يموتوا سوا وهم بيحبوا بعض، لا ده كان عارف إنه هيطلق ولا ده عارف إنه هيكمل، شوف إحساسك بيقولك إيه ودوس معاه".

كان إحساسي متبلدًا، لم يكن يخبرني بأي شيء على الإطلاق، وهذه علامة غير مبشرة إطلاقًا.

"طول عمري ماشي ورا إحساسي، وطول عمره بيجبني ورا، ممكن أجرب أمشي عكسه يمكن يجي معايا صح المرة دي".

وفي إحدى المرات كنت أتحدث مع مريم عن أمور متعددة وشعرت أنها ليست كعادتها:

- ما لكِ؟
- مفيش.
- يعني إيه مفيش؟
- مفيش حاجة يبني كويسة؟
- بس دي مش عوايدك.
- معلش تعبانة شوية.
- مريم عايز أسألك سؤال.
- خير؟
- إنتي بتحبيني بجد؟
- ممكن تسيبني أفكر؟

***

"وسيبتها تفكر يا جدو دنا لو منك كنت سمعتها العيب"

ردَّت الجدة، وهي تضحك قائلة:

- لو هنا كانت متوحمه على جدك فيـك مكنـتش هتبقـى زيه كده حتى لسانه الفالت يا ربي.

فابتسم الجد:

- بس عمره ما قدر يفلت عليكي حتى بعد ٤٦ سنة.

نظرت لهم نور في رومانسية شديدة:

كده مش هتلحقوا تكملـوا للـ ٤٧ يـا جـدو أنـا ماسـكة نـفسي عشان محسدكوش بالعافية.. دنا من ساعة ما اتولدت مشوفتش بابا بيقول لماما يا حبيبتي غير وهو عايز منها حاجة.

ثم تابعت:

- وعرفتي تتغيري عشان يوسف يا تيتة ولا معرفتيش؟

***

قـررت وفعلـت مـا قررتـه، فمـن يومهـا لم تتغـير معـاملتي مـع يوسف حتـى إن كانـت ردود فعلـه مخيبـة لكـل آمـالي، ولكنـي كنت أخبر نفسي أن عمر بأكمله يسـتحق أن أضـحي مـن أجلـه ولو بشهور قليلة.

بدأت أن أخـبر يوسـف بمـا يضـايقني منـه بكـل صراحـة، ورغـم تنكـره كثـيراً مـن عيوبـه ألا وأني كنـت أشـعر أن هـذا الكبريـاء

يساعدني، فهو يجعله يشعر بالخجل من أن يكررها ثانية حتى لا أواجهه بعيبه مرة أخرى وينكشف أمره، فكما كانت جدتي تقول: "قول للحرامي إنك عارفه وعمره ما هيسرق وإنت شايفه" ونجحت حكمتها.

لم يكن يوسف فارس أحلامي فهو ليس بحالم أو رومانسي- أو حتى طموح فكان روتيني، ثابت وأفعاله متوقعة لسنوات قادمة، ولكني كنت أحاول جاهده أن أغيِّر نفسي- وتطلعاتي لأجله، وهذا أسهل بكثير فلم أطمح قط في تغييره هو؛ فإذا قررت السماء أن تنزل لتجلس على الأرض لكي تستريح لن يقرر يوسف أن يغير أي شيء فيه، فهو مقتنع تمامًا أنه "برنس" فارس أحلام الكثيرات، فهو "جاهز من مجاميعه مش تاعبك في حاجة شقتي موجودة وشغلي عند أبويا موجود لخمسين سنة قدام يعني متطمنة وإنتي معايا" كان مفهوم الاطمئنان عند يوسف لا يخرج أبدًا خارج دائرة "الفلوس"، ولم يخرج عندي أنا أبدًا من دائرة "الحب"، فالحب لا يُقدر بثمن وفي نظر يوسف يمكن لكل شيء أن يُشترى بالمال حتى الحب. ربما سبب هذا ثراء أبيه الذي لم يحرمه من شيء قط، فجعل كل شئ عنده سهل أو بالأحرى بلا قيمة فـ "اللي بيروح قرشك بيجيبلك ١٠٠ غيره " كانت تلك حكمته المفضلة.

كثرة المحاولات الغير مجدية في تغيير وضع العلاقة بيني وبين يوسف جعلت بداخلي يقين أن الوضع سيبقى كما هو عليه، وعلى المتضرر الدعاء إلى الله "يا يريحه يا ياخده والتانية أريح". ورغم يقيني هذا إلا أني تابعت محاولاتي...

- ألو
- أيوه يا حبيبي..
- إنتي فين؟
- في البيت.
- بتعملي إيه؟
- بفكر فيك..
- طيب، عايزه حاجة مني؟
- عايزه ربنا يخليك ليا..
- ماشي، في حاجة تاني
- عايز تقفل؟
- لأ عادي لو عايزه تتكلمي اتكلمي..
- أتكلم إزاي وإنت مش مديني فرصة أتكلم؟

الزمن مور زيد

- ليه قافل بوقك؟
- لأ يا يوسف قافلني كلي أنا بقالي فترة بحاول أتغير معاك للأحسن وأعمل كل حاجة عشان أرضيك ولا بخرج ولا بكلم حد ولا بعمل أي حاجة تضايقك...
- وإنتي المفروض إنك تضايقيني يعني!
- لأ بس المفروض إنك تحس بإني بحاول وتقدر ده..
- أقولك برافو يعني!
- برافو!
- أمال أقولك إيه؟ أقولك بطلي أفورة اللي إنتي بتعمليه ده طبيعي، وإن في ناس بتعمل أكتر من كده من غير ما تحسس اللي قدامها إنها بتعمله جميلة. إيه المعجزة البشرية اللي بتعمليها أما بتقوليلي بحبك ولا بتسمعي كلامي ولا بتهتمي بيا منا أمي بتعمل كده لأبويا بقالها ٢٨ سنة أهو مبشوفهاش بتعمل اللي إنتي بتعمليه ده.

الفور ريد

صـــدمتي في ردة فعـــل يوســـف هـــذه جعلتنـــي أتمنـــى لـــو أني أســـتطع أن أغلـــق الهـــاتف في وجهـــه.. إلى الأبـــد، لا أدري لماذا لم أفعل وتابعت حديثي معه:

- طب أنا بقولك بحبك وبسمع كلامك وبهتم بيك.. إنت بقى بتعمل إيه؟

- أنا راجل.

- يعني إيه؟

- يعني الراجل بيشتغل وبيجيب فلوس عشان يكفي بيته، وطول ما هو مكفي اللي معاه يبقى ملهاش عنده حاجة تاني، والحاجات التافهة اللي إنتي بتقولي عليها دي يقعد مع مراته بعد الغدا يتفرجوا عليها في فيلم قديم ولا في مسلسل تركي وبعدها تقوم تعمله العشا ويدخلوا يناموا.

- حاجات تافهة! وإيه بقى الحاجات المهمة بالنسبة لك الفلوس والأكل والنوم؟

- ده لحد الجواز بعد الجواز بقى هيبقوا فلوس ونوم وأكل؟

- إيه اللي اختلف!
- الأكل دلوقتي أهم من النوم، لكن بعد كده النوم هيبقى أهم فاهماني طبعًا.
- والفلوس أهم من الاتنين؟
- الفلوس بتشتري الاتنين، عارفة يا زيزي أنا بقيت بحس إنك عاملة زي الست اللي متجوزة بقالها ٢٠ سنة ولسه نفسها جوزها يجيبلها ورد وهو داخل عليها وياخدها يخرجها ويقولها كلمتين حلويين.
- وليه لأ! ليه ميفضلش حتى لو فات ٥٠ سنة يجيبلها ورد ويخرجها ويقولها كلمتين حلوين.
- هههههههههههههههههه بصي أنا شخصيا ممكن أعمل كده بس في حالة واحدة لو كنت عايز أنام مع حد ومعيـــــيش فلـــــوس أجيـــــب غيرهـــــا هههههههههههههههههههههههه..
- إنت حيوان!

أغلق يوسف الهاتف في وجهي. لم أندم فقد عنيت الكلمة بكل ما تحمله من معنى.

كانت نور مذبهلة تمامًا:

- إيه يا تيتة ده، ده كان قليل الأدب أوي..
- ما هو جدك كان قليل الأدب برضه، بس قلة أدب عن قلة أدب تفرق.
- يا سلاااام..
- مش قصدي، بس ممكن حد يقول جملة زي دي هزار وإنتي بتحبيه فبتعديها وإنتي عارفة إنه عمره ما هيعمل كدا، وممكن حد يقولها بهزار زي يوسف، بس إنتي عارفة ومتأكدة إنه جدّ ولو وصل الموضوع لكدا هيتصرف كدا فعلاً، بصي الموضوع كله عبارة عن شوية ثقة، لو موجودين كل حاجة هتبقي كويسة، لو مش موجودين مهما حصل مفيش حاجة هتمشي كويسة.
- والله يا تيتة كلامك حلو، هينفعني يعني بعدين.

نظرت الجدة إلى زياد السارح في ملكوته وهو يعبث بهاتفه المحمول، ثم نظرت إلى نور نظرة فهمت معناها، فنظرت إلى الأرض خجلاً، وفجأة ضربت نور زياد على كتفه ...

- بتهبب إيه مش تركز معانا..
- جرا إيه إنتي كل شوية تضربيني، أنا ساكتلك عشان إنتي بنت.
- يا عم اقعد، وسيب الزفت ده وركز معانا هنا.

فأمسك الجد بكوبه، وشرب منه كمية قليلة وهو يستعيد ذكريات ماتت، ولكن ذكراها وآثارها لا تزال بداخله، علامات تركها الزمن ولم تنمح ...

***

حسمت قصة مريم بداخلي، لم أكن في انتظار ردا منها، فأيا كان ردها كنت متأكدًا أنه سيكون مخيبًا لآمالي، غير مقنع، وغير حقيقي، ستحاول أن تبرر أو تأجل ردها عليّ، فلو كان ما بداخلها حقيقيا وصادقًا لكانت ردَّت عليّ وقتها، لا يوجد شيء اسمه "سيبني أفكر" عندما يتعلق الأمر بالحب، فهو حب أو لا حب، فقط، لا يوجد حل وسط في هذه النقطة تحديدًا.

الحب الحقيقي لا يسبقه تفكير أبـدًا، لا يسـبقه تـأني أو انتظار، لأنه عندما يأتي فهو يصيبك مرة واحدة دون أن تشـعر أو تـدري أو تعرف من أين أتاك، هو يصيبك فقط، فجـأة يصـعقك فتتأثر به ويمكث بداخلك في انتظار أن ينمو، أو تتركه يذبل.

غابت عني لمدة يومين لم أعرف عنها شـيئًا في انتظـار أي مكالمـة منها، أو أي تعليق حتى، ولكن هذا لم يحدث، فقـررت أن أنهـي الأمر على طريقتي الخاصة.

اتصلت بها فردت علي:

- أيوا يا مريم..
- إزيك يا كريم، كنت لسة هكلمك.
- لا والله طب كويس، خير كنتي عايزاني في إيه؟
- يعني كنت عايزة أقولك بس ممكن تديني يومين كـمان أفكر؟
- لا والله فعلاً، يومين تفكـري، هـو الموضـوع صـعب أوي للدرجة دي؟
- أنا محتاجة وقت.
- أمال بحبك اللي اتقالت منـك سـتين مـرة في أسـبوع دي كانت إيه؟

- ما هي كانت بجد بس أنا حاسة إني ...
- أنا كمان والله كنت حاسس إن في حاجة غلط، في حاجة جوايا مكنتش مستريحة خالص، وأنا هريحك، فكري، فكري برحتك جدا وخدي وقتك.
- ياااااااه ريحتني..
- وأول ما توصلي لقرار يا ريت متكلمنيش لأن ساعتها ميهمنيش أعرفه، عايزة حاجة؟ سلام..

كانت هذه هي نهاية القصة التي لم تدم طويلاً، كنت سعيدًا، هذه هي المرة الأولى التي تنتهي فيها علاقة ما ولا أحزن أو أشعر بذنب، كنت على يقين أن لهذه القصة نهاية قريبة أو هكذا تمنيت، لم يخالفني شعوري هذه المرة، وبالطبع تذكرت تعليق أمي، ضحكت، وارتحت ورميت الأمر كله خلف ظهري ومضيت، وتذكرت جملة قيلت لي من قبل ...

"خد اللي تعينك على الدنيا، مش اللي تبقى هي والدنيا عليك، وخد اللي تحبك لنفسك مش لحاجة تانية، وخد اللي شايفاك أول حاجة في حياتها مش تاني حاجة، غير كدا ما تفكرش تتجوز أبدًا".

-١٠-

مرت ثلاثة أسابيع على انفصالي عن مريم، لم تكن القصة مؤثرة، لم أكن قد تعلقت بها أو تمكن حبها من قلبي، ولذلك كان نسيانها سهلاً، وما جعل الأمر أكثر سهولة هو أني تيقنت أنها لم تكن تحبني، فكما عرفت بعد ذلك بطريقتي الخاصة أنها قالت لإحدي صديقاتها ذات مرة:

- يبنتي أنا بس كنت حابة أرتبط بواحد معروف وليه جمهور ويعني أعيش الجو ده شوية، ولما سألني بتحبيني معرفتش أكدب بصراحة وهو هرش الموضوع وخدها من قاصرها ومشي.

فتاة مثلها لم يكن هناك أي داعي كي أحزن عليها ساعة واحدة، حمدت الله على أن الموضوع لم يأخذ أكثر من وقته.

وبعدها بفترة، وفي يوم لا أتذكره طلبتني أمي كي أذهب إليها وآتي بها من العمل إلى البيت، وعندما ذهبت وتأخرت هي في النزول تذكرت أني أريد سحب أموال من الفرع القريب، فاتجهت إليه وليس في مخيلتي سوى الأموال التي سأحصل عليها، ولكن عندما دخلت، وجدتها تجلس أمامي، زيزي،

ابتسمت، فابتسمتُ، تحركتُ ناحيتها، فعدلت من وضعية جلوسها لتراني جيدًا.

- إزيك.
- إزيك إنت عامل إيه منورنا..
- المكان منور باللي شغالين فيه، كنت جاي عايز أسحب فلوس..
- طيب إديني رقمك...

لحظات مرت وهي تعمل أمامي وأنا أشاهدها، عينيها، ابتسامتها التي أحببتها منذ رأيتها في المرة الأولى.
أنهيت ما أريد وخرجت.
مررت عليها مرات عديدة بحجج مختلفة...
"إزيك، عايز أشحن بعشرة"

- "إيه الأخبار، بقولك إيه ما تشوفيلي كدا الباقة هتتجدد إمتى"
- طب ما تشوفها من علي موبايلك.

- لأ أصلي مش بعرف.
- يا راجل ..
- آه والله ..

"سلامو عليكو، بقولك إيه والنبي عايز أشحن بتلاتة جنيه" حجج كثير لم تكن تنتهي، وفي كل مرة كانت تقابلني بتلك الابتسامة التي أحببتها وتعلقت بها، كنت على يقين أنها لم تكن تبتسم لأحد من العملاء مثلي، بالطبع لم أكن أراها بعد أو قبل ذلك ولكن كان هذا هو يقيني.

"ددو ددو هي تيتة تانت بتضحت إزاي حلوة وهي تنانها وقعانين تده"

ضحك الجد بشدة وهو ينظر إليها قائلاً : تيتة كانت حلوة وهتفضل طول عمرها حلوة حتى لو من غير سنان خالص.

قبَّلته الجدة في جبينه قائلة: ده عشان جدكم نظره راح بس وبقى بيشوف بعيون قلبه إنما لو لبس النضارة...

فقاطعها قائلاً: هشوفك أحلى عشان هشوف في ملامحك أجمل سنين عمري اللي قضيتها معاكي.

***

شهر من الانقطاع التام بيني وبين يوسف لا يحدثني إطلاقًا ولا يرد على مكالماتي، ولكن طلب من والدي أن أرسل له رسائل إذا خرجت لعملي وعندما أعود ويتأكد هو بطرقه الخاصة وكالعادة ممنوع منعًا باتًا -الخروج دون إذنه وأثناء وجودي في العمل اتصل بي يوسف:

"ولاد الكلب قفلولي خطي مش عارف أستقبل وبكلمهم مبيردوش اتفضلي شوفي"
هشوفهولك يا يوسف حاضر.

وأثناء ما كان يوسف معي على الخط جاء كريم إلى الفرع وسلم عليّ كعادته أخبرني أنه يريد أكواد تجديد باقة الإنترنت الخاصة به فأعطيتها له ثم رحل.

- مين اللي كان بيسلم عليكي ده؟
- ده كريم هشام.
- كريم هشام مين؟
- حكيتلك عنه قبل كده الشاعر اللي جالي الشغل القديم.

- بتاع البنات مممممممممممم وده جايلك ليه؟
- ما إنت سامع بيجدد باقة النت
- وحياة أمك إنتي هتستعبطي؟
- في إيه يا يوسف؟
- إنتي فاكراني طرطور قومي وروحي ع البيت
- ليه؟
- مفيش شغل ليكي تاني..
- في إيه يا يوسف محصلش حاجة لده كله إنت بتعمل كده ليه؟
- لو مقومتيش وروحتي حالاً يا زيزي مش هيحصلك كويس افتكري الكلمة دي.

قالها وأغلق الهاتف في وجهي كما يفعل دائمًا لا أعرف ماذا كان يدور برأسه حينها، ولكن مهما حدث بيننا لم يكن يستدعي كل هذا...

فلم تكن زيارات كريم المكررة والمفاجئة والمليئة بالحجج بالنسبة لي سوى صدف ربما مقصودة أو لا، فهو لا يعرف

مواعيد عملي بهذه الدقة حتى يأتيني فيها، إذًا هي بالتأكيد مجرد صدف لا أكثر بلا أي نوايا أخرى سواء إعجاب أو "شقط". و"محصليش كويس" تمامًا مثلما قال يوسف فلم أعد إلى المنزل كما أمرني بل أكملت يومي عادي ثم عدت، فوجدته أمامي. شعور الخوف الذي إنتابني حينها كان بإمكانه إيقاف دقات قلبي المتسارعة إلى الأبد، كما تمنيت وقتها. ماذا عساه أن يفعل؟ ماذا قال لهم؟ بماذا أخبرهم؟ كثيراً من التساؤلات التي لا تنتهي ولم يوقفها سوى صوت أبي وهو يقول "مسمعتيش كلام خطيبك ليه؟".

وقبل أن أجيبه قاطعني يوسف قائلاً: "قبل ما ترديي على سؤال باباكي قوليلي كنتي فين الأول؟ وصلك؟"

أي عدم احترام ووقاحة تلك؟ كيف لك أن تتهمني بشيءٍ كهذا وأمام والدي؟ وكيف لوالدي أن يسمح؟ أعلم أنه هو السبب فقد كان خطؤه، فلدى والدي عقدة يرجع سببها إلى "حماه" الذي تسبب في انفصاله عن والدتي بسبب تدخله المستمر في حياتهم، فقرر أنه سيعوض "جوز بنته" ولن يتدخل في حياته قط حتى إن كان مخطئًا فـ "الراجل مهما غلط الست بتسكت

وبتستحمل عشان المركب تمشي" كانت هذه نصيحته لي ولكني لم أقتنع بها قط "لو كان كده ليه ماما مشيت ومستحملتش عشان المركب تمشي! ليه سابتنا وسابت كل حاجة ونزلت راحت مركب تانية! ليه أنا كمان منزلش من المركب اللي كلها همّ وأركب مركب تانية تفرحني وتسعدني مع راجل يحبني؟ ليه لازم أفضل في المركب بعد ما عرفت إنها هتغرق؟ ليه لازم أغرق معاها؟" لا إجابة.

لم أتحمل سؤال يوسف فوجدت نفسي أبكي وأجيبه وأنا أنظر لوالدي:

"مين ده اللي وصلني إنت بتقول إيه؟ إزاي تقول كده؟"

- شغل العياط ده مش هيخيل عليا لما قولت روحي مروحتيش ليه؟
- أنا مغلطتش عشان أروح.
- أنا أما أقول حاجة تتسمع.
- مش هسمعها طول ما هي مش من حقك زي ما مش من حقك تزعقلي وأبويا قاعد ولا تظلمني ولا تظن فيا ظن وحش...

- حقي ونص طول ما إنتي فاكراني طرطور وبتقرطسيني..
- ولما إنت شايف إني مخلياك طرطور مكمل معايا ليه؟ أقولك أنا لأنك عارف إني صح وجواك عارف إنك غلط بس رافض تعترف بده، أنا زهقت من عيشتي ومن حياتي ومن كل حاجة، أنا حاولت أغيرك وأغير نفسي- عشان أحس بأقل حقوقي أنا عليك، وهي إني أحس إني بني آدمه من حقها تعيش وتتبسط بس دي مش عيشة، أنا حتى النفس اللي بتنفسه بقى بيخنقني أنا مبقيتش قادرة وتعبت سيبني يا يوسف سيبني أنا تعبت...
- أسيبك عشان تدوري على حل شعرك..
- لأ تسيبني؛ لأنك لو قبلت تفضل معايا بعد ظنك فيا تبقي مش راجل..

لم يرد يوسف عليَّ فقط "ضربني بالقلم" وخرج.

الزمور زيد

-١١-

مرت عليَّ أيام كثيرة متشابهة، كانت كل نشاطاتي مقتصرة على حضور الندوات والأمسيات الشعرية والحفلات والكتابة وبعض الجلسات التي يحضر فيها معالج نفسي أو خبير ما لمناقشة موضوع معين.

واظبت في الآونة الأخيرة على حضور الجلسات التي كانوا يتحدثون فيها عن المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها المجتمع. وكانوا عادة ما يناقشون أحد الأمراض المزمنة، والتي ستظل مزمنة طالما أن حواء وآدم على هذه الأرض، مرض أسبابه غير معروفة ومن قال أن أسبابه معروفة فهو حتمًا يكذب، هو المرض الوحيد الذي لا تعرف كيف أصابك ومتى ولماذا، وعواقبه أيضًا مجهولة تمامًا، مجهولة أكثر مما كانت الأمريكتان مجهولتين للرحالة الإيطالي الشهير كريستوفر كولمبوس، حتى أن دواءه غير معروف حتى الآن، على الرغم من التقدم العلمي والنفسي- في جميع المجالات وعلى كافة المستويات، إلا أن دواءه لا زال يحير الجميع، كبارًا وصغارًا، إناثًا ورجالاً، هو المرض الذي يجعلك تنام كثيرًا، وأحيانًا لا تنام أصلاً، تفكر أكثر من أي وقت مضى، يجعلك تضحك وتبكي في نفس اللحظة، يباغتك حينما لا تكون في انتظاره، ولا يأتيك عندما تنتظره ولا تجده عندما تبحث عنه،

هو دائمًا بالقرب منك ولكنه لا يأتيك عندما تريد أنت ذلك، بل عندما يريد هو أن يصيبك في مقتل، إنه مرض يُسمى "الحب".

كانت المناقشة هذه المرة عن التمسك والحب الحقيقي والزائف، وكالعادة كانت الآراء تختلف من شخصٍ لآخر ومن تجربة لأخرى، وكالعادة أيضًا كان المحاضر يعطي مساحة لكل شخصٍ كي يعبر عن رأيه في الموضوع، ثم يعقب هو في النهاية.

كان التعليق الأول من نصيب شاب لا يتعدى عمره ٢٥ عامًا، فقال:

"حب حقيقي إيه يا جماعة، مفيش الكلام ده، دلوقتي كله بيشتغل كله، وكل واحد بيضحك على واحدة ويوهمها بالجواز وبتاع ويقضيها شوية وبعدين يفك منها، هو الشباب لاقي يصرف على نفسه لما هيفكر يتجوز، يا جماعة اعقلوا الكلام يعني، وبعدين تمسك إيه، البنت من دول تبقى عايزة واحد جاهز ومتريش وتمام التمام، إنما تقعد بقى تكافح وطوبة فضة وطوبة دهب، لأ مبقاش في الكلام ده ولو قلنا في يبقى بنشتغل نفسنا".

فقاطعه رجلٌ آخر في الأربعينيات من عمره:

"بص يا بني هقولك علي حاجة، أنا مجتش هنا عشان أنا عندي مشكلة عاطفية، أنا مراتي ماتت بقالها سبع سنين، ويادوب لسة

خارج من حالة الاكتئاب اللي كنت فيها من شهرين تلاتة وبحاول أعمل أي حاجة تلهيني شوية، مراتي كانت بتزعل عشان أنا بزعل وبتفرح عشان أنا بفرح، بتضحك عشان شايفة وشي بيضحك، وبتعيط لما بتلاقيني مكتئب ومهموم، معايا فلوس كنا بنعيش، معييش فلوس كنا برضه بنعيش، كان شايلاني أكتر ما أبويا وأمي شالوني، عارف جماهير الزمالك لما بتقول (معاه لآخر الكون .. العمر عشانه يهون) أهو مراتي كانت عاملة زي جماهير الزمالك وأنا كنت الزمالك، فمتحكمش على كل الناس من تجربتك إنت".

فقال المحاضر:

"تاني يا جماعة هكرر، مينفعش نعمم ونحكم على كل التجارب من خلال تجربتنا بس، الحب الحقيقي اللي بنتكلم عنه هو إنك بتوهب روحك وقلبك وعقلك وحياتك للشخص اللي إخترته ده، بيبقى هو كل حاجة وأول حاجة وأي حاجة تانية بتيجي بعديه، هو زي ما الأستاذ قال، بتفرح وتزعل عشان البني آدم اللي معاك، بتفضّله على نفسك فكل حاجة، قلبك طول ماهو عايش بيقوله "بحبك"، ما بيفكرش فيها، هي بتتحول من كلمة بتتقال باللسان لدقات قلب ما بتقفش، وممكن تسمعوا أغنية محمد فؤاد (الحب الحقيقي) هتنفعكم في الحالة دي".

ضحك الجميع تعليقًا على الجملة الأخيرة ورحلوا على وعدٍ بلقاء آخر، وكالعادة لم أعقب، لم أكن أحضر تلك الجلسات لأتحدث ولكن لأستمع فقط، تذكرت حينها تلك الكلمة اللعينة التي لم أنساها يومًا.

" إنتي بتحبيني بجد؟

ممكن تسيبني أفكر؟"

وبتلقائية شديدة وجدت نفسي أقول بصوتٍ واضح:

- أما إنتي طلعتي واطية صحيح!..

فانتبه الجميع لما قلت، وساد الصمت في القاعة لثوانٍ معدودات، وفجأة غرق كل من حولي في نوبة ضحك هيستيرية، لم أعرف لماذا ضحكوا ربما على رد فعلي، ولكني كنت سعيداً، فضحكهم كان نابعًا من قلوبهم الحزينة والمكسورة، كان ضحكهم "بجد" وليس ضحكًا "أصفر ملوش معنى".

***

رحل يوسف دون مجادلة منه ودون ندم مني...

"اللي بيحب بجد بيقاوح عشان اللي بيحبه بيحاول لآخر نفس فيه مبيمشيش حتى لو اتقاله امشي، مبيستسلمش مهما كانت

الظروف كلها ضده، مبيقساش مهما اللي قدامه غلط... وأنت حتى مقاوحتش عشان تحاول إنك تفضل... جوايا أو معايا... ".

الكثير من المشاكل التي لا تنتهي سواء في العمل أو في المنزل منذ أن تركت يوسف، "إنتي افتريتي وربنا هيوريكي" كررها أبي كثيرًا... لم أكن أرد كنت أكتفي بأن أنظر إلى السماء وأدعو الله "يا رب والباقي وحدك تعرفه"... أيامي كلها سواء، أذهب إلى العمل ثم أعود للبيت لا أفعل أي شيء، وأحيانًا كنت لا أذهب إلى عملي لفتراتٍ طويلة متحججة بالمرض، لا أفكر في أي شيءٍ آخر ولا أكلف نفسي حتى عناء التفكير، وصلت إلى مرحلة لا بأس بها من "تكبير الدماغ" في كل شيءٍ لا أفعل سوى ما أريد وليذهب الناس والمجتمع إلى الجحيم أو بمعنى أدق: "عبوهم كلهم، اللي هيتحاسب مكاني يبقى يحاسبني".

أصبح أكثر ما يشغل بالي في هذه الأيام مشاهدة عقارب الساعة وهي تزيد أيامي يومًا تلو الآخر، كان الموت هو الشيء الوحيد الذي أنتظره، حاولت الانتحار مرة وبعد أن فشلت لم أكررها، ليس يأسًا ولكن يقينًا أن "الجنة عند ربنا أحلى وأنا مش هموت كافرة عشان أدخلها وفي نفس الوقت مفيش حاجة أعيش عشانها فهعيش ليه، خليني مستنيه"، مُستسلمة على غير عادتي أصبحت لا أقوى على أي شيءٍ حتى التنفس فكان أكسجيني

عدوًا لي يطيل عمرًا أريده أن ينتهي، كانت كل الظروف تقف ضدي وتعاندني بشدة، حتى أقرب الأقربين لم يكن هناك من يساندني، ربما رغمًا عنهم، ربما لانشغالهم هم أيضًا بما هم على يقين أنه أهم من تفاهاتي أو أهم مني أنا شخصيا، ربما لأسباب كثير، ولكن النتيجة واحدة، أني كنت وحدي.

ابتعدت عن كل من أعرفهم، لم يقتنع أي ممن حولي بسبب ابتعادي وعزلتي ولكني لم أهتم، فلكل داءٍ دواء، ودوائي هو الابتعاد عن الجميع كما اعتدت دائمًا، فالشعور بالرغبة في الانعزال لا يقتصر على شعورك بالوحدة؛ لأنه ليس هناك أحد حولك بل يكون أقوى حينما يكون الجميع حولك ولا أحد يهتم، هذا هو ما لا أطيقه.

أصبحت باردة بعض الشيء، توقف شعوري بالأشياء من حولي، لم أعد أستمع لنصائح أي شخص حتى صديقتي المقربة كانت تخبرني كثيرًا أنها تشعر باليأس حين نتحدث..

- إنتي بقيتي كده ليه؟
- مش عايزة حد يزعل عليا لما أموت.
- بطلي هروب، لسة في ناس كويسين، وأكيد هتلاقي اللي فيهم اللي يرتبط بيكي ويحبك.

- مممممم وبعدين يحبسني تحت اسم إنه راجل.. كل حاجة بإذن حتى النفس اللي بتنفسه.. كل حاجة لأ وميصحش ومينفعش.. كل حاجة جوا الدايرة بتاعته ولو خرجت براها أبقى فجرت.. مجرد جارية هتشتغل وتنضف وتمسح وتربي وتكبّر وتقيد صوابعها العشرة شموع لحد ما تتحرق وتموت وقصاد ده كله ولا حاجة! عشان ست! وعشان أم المركب تمشي! وعشان تعيش! لو هي دي العيشة يبقى الموت أريح بكتير!...
- مش عارفة أقولك إيه!..
- متقوليش، ادعيلي..
- هدعيلك، ربنا ...
- ياخدني، مش عايزة غير الدعوة دي.

الزمن مور زيد

"تيتة ممكن سؤال"..

اتفضلي يا نور..

- إنتي ليه مخدتيش اللي عمله يوسف على إنه غيرة وخدتيه على إنه إهانة، أصل أنا بصراحة شايفة إن الغيرة شعور طبيعي طول ما الواحد بيحب.

ردَّ زياد على نور، وهو يبتسم:

- لأ إزاي يا نور مش الغيرة دي خنقة وتحكم زيادة عن اللزوم..

فقالت الجدة:

- أديكو رديتوا على بعض أهو، الغيرة يا نور أما بتبقى من حد بتحبيه بتبقى فعلاً حب وبتقبليها وبتبقى على قلبك زي العسل مهما كانت زيادة عن اللزوم زي غيرة جدك اللي كانت سبب أغلب مشاكلنا سوا، إنما أما بتبقى من حد مش بتحبيه وعارفة وواثقة إن حبه ليكي مجرد حب امتلاك مبتشوفيهاش غير خنقة وبس.

***

فترة من اللاشيء مرت في حياتي، فترة باهتة ليس فيها أي جديد يُذكر أو قديم يُعاد.

لم أنس زيزي، لم أنس ابتسامتها أبدًا، وكنت على يقين أن زيارتي لها ستتكرر، وستكون مختلفة عن سابقاتها.

وعندما ذهبت إليها ذات مرة دون أي ترتيبٍ كالمعتاد، قالت لي إن ما أريده سيأخذ بعد الوقت، فما كان مني إلا أن قلت لها:

- مش مستعجل خدي وقتك..

- بس تعرف كان في جمل في الكتاب بتاعك حسيتها مش واقعية أو مش حقيقية ممكن تكون من تأليفك، خيال يعني، بس مفيش منها..

- زي إيه؟

- مش فاكرة بس عدت عليا حاجات كدا..

- أكيد في حاجات خيالية بس في حاجات كتير واقعية، إيه رأيك تبقي تبعتيهالي..

- كدا هتخليني أقرا الكتاب تاني بس ماشي، وهبعتلك كمان الحاجات اللي عجبتني..

- هستناكي..

أردتها ان تبدأ بمحادثتي أكثر مما أردت معرفة رأيها في الكتاب، لم أعتد أن أبدأ أنا بحديث مع البنات، ليس لأني "مغرور" كما يُشاع، ولكن حتى لا يقال "حكاك" .. وبالتالي فالوصف الأول أفضل كثيراً من الوصف الثاني.

مر وقتُ طويلُ ولم ترسل لي أي شيء!..

لم أتصل .. ولم أرسل لها..

انشغلت بأشياء كثيرة ومشاكل أخرى أكثر، حتى إني نسيت الأمر كله.

نظر إليه زياد وهو يعبث بكوبه قائلاً:

- أيوا بقى، ادينى في الساسبنس، أظن كدا بقى كل واحد فيكو خلص من علاقاته القذرة القديمة وهندخل في الحلو..

- قذرة يا ابن الكلب يا حيوان، ما تحسن ملافظك ياض إنت..

فنظرت الجدة إليه قائلة:

- يعني هو هيجيبه من برة..

فردً عليها الجد غاضبًا:

- يا تقولي كلمة عدلة يا تخشي تنامي.
- زعق فيا كمان زعق..
- والنبي ما أقدر يا حلو إنت..

فقاطعهما زياد، وهو ينظر إلى نور قائلاً:

- قومي يا نور طيب إحنا ننزل نجيب أي حاجة ونبعتلهم اتنين مانجا، إنتو هتعاكسوا بعض أدامنا، عيب اختشوا، مش كنتم بتقولوا إختشوا برضه؟

***

رغم الشعور بـ "الحرية" بعد تحرري من قيود يوسف، إلا أن كل شيء بات عندي بلا معنى أو روح لم أعد أثق في أحد، تناقض شديد بداخلي أضحك كثيراً ولا أعرف أي معنى للسعادة، أنتظر الموت ولكني أفعل كل ما يجعلني متشبثة بالحياة، أتساءل بيني وبين نفسي كثيراً "لماذا ما زلت على قيد الحياة؟" وفي داخلي يقين شديد أن هناك مفاجأة قدرية ما ستحدث لي لهذا ما زلت حيَّة، ورغم انتظاري لتلك المفاجأة القدرية إلا أن جميع المحاولات للاقتراب مني كانت تنتهي قبل حتى أن تبدأ بجمل مثل "إنتي منظر بس ضحك وتهريج بس جواكي فاضي زيك زي البلياتشو نتفرج عليه وبس " - " اللي بيقرب منك عايز

يكمل حياته معاكي وإنتي أصلاً رافضه يبقالك حياة" - "خلي عندك ثقة أو عالأقل جربي" ...

"أجرب! أتكلبش تاني! ليه محدش فاهم! التجارب دي للي فيه حيل يجرب إنما أنا مفيش فيا حيل غير إني أجرب إني أستحمل أعيش لحد ما أموت وبس".

حتى "فارس أحلامي المُنتظر" لم يعد لي سوى خرافة ابتدعتها مخيلتي لتخفف عني لا أكثر، ففي الواقع هذا الفارس ليس سوى "خُدعة" توقع الحالمات في فخاخ من لا يستحق.

وفي يوم وأثناء بحثي عن كتاب أنشغل به، فكرت أن أقرا كتاب "light من غير رغي"، وجدت كتاب كريم أمامي فتذكرت ما كنت قد وعدته به وهو أن أرسل له ما أعجبني بكتابه وما كنت قد وصفته بأنه كان خيالي بعض الشيء، فالبطل في أكثر روايات كريم يمكنه أن يكون فارساً من "فرسان الأحلام" لا رجلاً من "رجال الواقع" .. و أثناء تصفحي لكتاب كريم للمرة الثانية بناءً علي رغبته أو لرغبة قدرية ما، وجدت في إحدى قصصه جملة أثارت تعجبي وإعجابي كثيراً :

نفسي تقعد تحكيلي حدوتة كل يوم .. مش بتعرف ؟ .. هاعلمهالك .. دي سهلة جدا .. طيب افتح كتاب ألف ليلة و ليلة و اقرالي منه .. أصلي مش بعرف أعيش في الواقع .. مش

بتاعي .. مبهوء عليا .. مش شبهي .. بحس بغربتي فيه .. عارف إنت الحاجات دي عبيطة جداً جدا .. ومش بتكلف .. بس بجد بحبها أنا جدا .. مجرد التفكير فيها بينعنشني .. بيخليني أبتسم. "سيلنترو إسكندرية"

فوجدت نفسي ألتقط صورة لهذا الجزء من الكتاب، وأرسلها في رسالة لكريم مع جملة "عجبتني عشان بسيطة " لم يكن يدور في مخيلتي بعد أن قرأت تلك الجملة سوى "قد ايه الحاجات اللي بتفرح بسيطة، بس مبقاش في حد بيعملها، برغم بساطتها بقت مجرد خيال نشوفها في فيلم أو نقراها في قصة ونبتسم وعنينا بتدمع ونتحسر على اللي احنا فيه... وكسة!!" ...

وبعد أن زاد تركيز الأطفال في انتظار ما ستحكيه الجدة رن جرس الباب "إستنى إنت يا جدو هقوم أفتح"..

ده الدليفري يا تيتة..

- طب حاسبه يا مؤيد وإديله ١٠٠ جنيه لنفسه مع الحساب، يلا قوموا ناكل وأما نرجع نكمل..
- يااااااه ١٠٠ جنية تبس فاكرة يا زيزي..
- بس متفكرنيش، دنا مكونتش بشوف الـ ١٠٠ جنيه دي غير في العيدية، وأما كبرنا شوية كانت قيمتها قلت بس

كنا بنخرج بيها خروجة كاملة وأما بنزنـق نفسـنا بيبقـو اتنين..

- أنا هقعد دنب تيتة عشان تأتلني..
- لأ يا لوجي تعالي جمبي عشان تيتة تعبانة وأنـا هأكلـك إنتي وهي..
- هي مش الحاجات دي بتبقى في الأول بس يا جدو..
- أنا من أول يـوم أكلـت أنـا وجـدتك لحـد دلـوقتي وأنـا بأكلها بإيدي..
- يا سيدي على الدلع، مش المفـروض إنـك شـبه جـدو يـا زياد..
- جدكو طول عمره بيعمل معايا كل حاجة وبيعلمني كل حاجة وجدتكو إيه بقـى كانـت لهلوبـة.. هههههههههه فاكر يا كريم..
- فاكر طبعا أمال، هحكيلكم موقف حصل زي ما هو كدا وأنا بعلم اللهلوبة السواقة، لقيتها فجأة بتقول:

- يا حماااااااااار يا حماااااااااااااااار يا حيوااااااااااان..

- ما لك يا زيزي بتشتمي الراجل ليه؟
- عشان هو بيرجع بضهره عليا..
- يا زيزي الراجل بينك وبينك ٢٠٠ متر، والشارع فاضي وإنتي لوحدك ومحدش قربلك..
- مش إنت بتقعد وإنت سايق تقول للناس يا حمار ويا حيوان ويا ولود يا ولود..
- آه بس عشان بيبقى هو غلطان أو كان هيخبطني أو هيموتنا كدا يعني مش عمال على بطال ماشي أشتم في الناس..
- لا هو حمار عشان رجع عليا..
- خلاص هو حمار وأنا حمار والعربية حمار وكلنا حمير يا سلام ولا تضايقي نفسك كملي سواقة براحة..
- كريسسسسسسيم إلحق إلحاااااااااااااااق
- في إيسسسسسسيه
- في بني آدم أدامنا .. أدوسه ولا أعمل إيه .. هيموت هيموت هيموووووووووووووووووووت
- أمشي براحة وبعيد عن الراجل مش هيموت متخافيش..
- يا شبابك اللي هيضيع يبني...
- يا زيزي إنتي ماشية على ٢٠ يعني لو فرضًا خبطيه مش هيحس بحاجة براحة وإمشي- على مهلك الشارع فاضي أصلاً مفيهوش غيرنا..

شوية وست معدية بعيل صغير..

- أعمل إيه أعمل إيييييييه هدوس الواد الصغير، الواد هيموت وإنت هتتحبس، أدوسه ولا أعمل إيه..

- هو إنتي ليه معندكيش أوبشن غير إنك تدوسي اللي أدامك ما تلفي الدركسيون كدا بعيد عنه وخلاص وبعدين قلتلك للمرة الألف إنتي ماشية على ٢٠ وساعات بتجيبي ٣٠ يعني لو في سلحفاة جنبنا هتسبقنا .. بصي عالأبو اليوم اللي قلتي عايزة تسوقي فيه انزلي يالا عشان ما نخسرش بعض. واللطيف كمان إنها لما كانت بتيجي تفرمل ما بتفرملش براحة، هي بتدوس الفرامل مرة واحدة وتلبسنا إحنا في إزاز العربية.

ضحك الأطفال بشدة ثم قال مؤيد: كنتي إستني وكنت هعلمك أما أكبر يا تيتة..

فقال له جده:

- لاااا ما أنت مشوفتش جدتك وهي بتسوق إنت جيت بعد ما بطلت عشان رجليها وجعاها دي ياما خبطتنا في

ناس ودفعتني فلوس فوانيس وإشارات اتكسرت دي مرة خبطت عسكري مرور وكانت هتتحبس واتصلت بيا وهي في القسم ولحقتها بعد ما حلفت للراجل إنها هتبطل سواقة وبردو مبطلتش..

- ده عشان تتخض عليا بس إنما أنا كنت لهلوبة ولا إيه؟
- طب كملي يلا يا تيتة وبعد ما صورتي الكتاب بتاع جدو..

والعشق أساسًا مكتوبلك من ساعة قطم التفاحة
لو أطول الحلم اللي فـ بالك كنت أمسك فيه
وأتملي فـ تفاصيلك جدا وأحفظهم صم
وأبنيلك جوايا مكانك وأملاه حواديت
إزاي أنا أشوفتك متأخر مع إنك أقرب من روحي
الحاجة أصلها لما بتكتر طعمها بيروح
وعيونا أما بتاخد على شيء جماله بيبهت أدامنا
أنا شوفت بنات غيرك ياما والقلب اتقطع ميت حتة
إزاي تيجي إنتي وعلى غفلة فجضنك تاخديه
وكأنه عيل مستني وإنتي لحقتيه
بحبك أد ما كل الناس حبوا ع الأرض
بحبك أد ما كل اتنين اشتاقوا لبعض
وكل مشاعري بقت سُنة وحبك بقى فرض

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرسل فيها لكريم شيء علي الـ Facebook فلم يكن عندي في الـ Friends ولم أدخل على صفحته الشخصية سوى مراتٍ قليلة لرؤيةِ صوره دون سبب.

لا يجب أن تكون هناك أسباب لكل شيء، فالبحث عن أسباب لكل فعل نقوم به هو أمر سخيف للغاية، فمن الممتع أحيانًا أن تتعامل مع الأشياء بمبدأ "الراديو"، الفرق بين الراديو أو الأغاني التي تختارها أنت هو أنك تترك للراديو حرية التصرف فيما ستسمعه، ستسمع ما يُذاع دون أن تشغل نفسك كثيرًا باختيار الأغاني، نوع من الراحة والاستجمام، حتى وإن لم تعجبك الأغاني كثيرًا، فأنت تستمتع بما لديك الآن.

أرسلت الرسالة لكريم وذهبت لأنام.

لا أعرف لماذا استيقظت مرةً أخرى على غير المعتاد وتلقائيا وجدت نفسي أنظر ما إن كان ردَّ أم لا، وعندما فتحت رسائلي...

"هل هلالك" كان ردَّ كريم يدل على أنه كان في انتظاري مثلما قال " هستناكي "..

- في حاجات كتير عجبتني بس قولت أبدأ معاك الكتاب من أوله.

- وإنتي يعني متجيش تسألي عليا إلا عشان الكتاب بس ؟
- هل لديك أسباب أخرى ؟
- يعني كان ممكن يبقى في أسباب أخرى لـو إنتـي عـايزه يبقي في..
- زي ؟!
- زي إنك تعزميني على الغدا بكرة.
- ده طموح يا فندم..
- خلاص لو مش عايزة تعزميني أنا ممكن أعزمك..
- طب استني كده انفاجئ وانكسف..
- اتفضلي خدي وقتك .. ها خلصتي؟
- إيه ده هو أنا لحقت شوفت إن العزومـة مكنـتش مـن قلبك..
- طب قولي بقي تحبي تتغدي فين بكرة؟
- إيه ده !! هو إنت خلاص هتشوفني بكرة..
- آه منا اعتبرتك وافقتي..

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرسل فيها لكريم شيء علي الـ Facebook فلم يكن عندي في الـ Friends ولم أدخل على صفحته الشخصية سوى مراتٍ قليلة لرؤية صوره دون سبب.

لا يجب أن تكون هناك أسباب لكل شيء، فالبحث عن أسباب لكل فعل نقوم به هو أمر سخيف للغاية، فمن الممتع أحيانًا أن تتعامل مع الأشياء بمبدأ "الراديو"، الفرق بين الراديو أو الأغاني التي تختارها أنت هو أنك تترك للراديو حرية التصرف فيما ستسمعه، ستسمع ما يُذاع دون أن تشغل نفسك كثيرًا باختيار الأغاني، نوع من الراحة والاستجمام، حتى وإن لم تعجبك الأغاني كثيرًا، فأنت تستمتع بما لديك الآن.

أرسلت الرسالة لكريم وذهبت لأنام.

لا أعرف لماذا استيقظت مرةً أخرى على غير المعتاد وتلقائيا وجدت نفسي أنظر ما إن كان ردَّ أم لا، وعندما فتحت رسائلي...

"هل هلالك" كان ردَّ كريم يدل على أنه كان في انتظاري مثلما قال " هستناكي "..

- في حاجات كتير عجبتني بس قولت أبدأ معاك الكتاب من أوله.

- وإنتي يعني متجيش تسألي عليا إلا عشان الكتاب بس ؟
- هل لديك أسباب أخرى ؟
- يعني كان ممكن يبقى في أسباب أخرى لـو إنتـي عـايزه يبقي في..
- زي ؟!
- زي إنك تعزميني على الغدا بكرة.
- ده طموح يا فندم..
- خلاص لو مش عايزة تعزميني أنا ممكن أعزمك..
- طب أستني كده أتفاجئ وأتكسف..
- اتفضلي خدي وقتك .. ها خلصتي؟
- إيه ده هو أنا لحقت شوفت إن العزومـة مكنـتش مـن قلبك..
- طب قولي بقي تحبي تتغدي فين بكرة؟
- إيه ده !! هو إنت خلاص هتشوفني بكرة..
- آه منا اعتبرتك وافقتي..

- إيه الديمقراطية دي!..
- شوفتي منا بجح بقى ومبيهمنيش حد ومليش كاسر..
- إنت اللي اعترفت.
- أنا معترف بكل شيء ومستعد أروح أسلم نفسي..
- هجيبلك عيش وحلاوة..
- خدي بالك من العيال يا جمالات..
- يا مرمطتنا من بعدك يا أخويا..
- لو طلبو منك شيسي من أبو جنيه ونص اوعي تستخسري فيهم..
- هشتغل رقاصة وأصرف عليهم..
- هو ده اللي أنا كنت مستنيه..
- هههههههههههههههههه
- هههههههههههههههههه

رنَّ هاتفي برقمٍ غريبٍ ليقطع حديثي مع كريم، فلم أرد وتابعت حديثي معه:

- مردتيش ليه ؟
- مش برد على أرقام غريبة بليل، ثواني هو ده إنت!
- طب ردي...

كان آخر ما كنت أتوقعه أن يكون المتصل هو كريم لم آخد وقت لأفكر في أي شيء منذ بداية حديثنا، لا أعرف حتى أكان يمزح أم لا...

- إنت جبت رقمي منين؟
- هي دي إزيك وحشتني عامل إيه يعني؟
- متهززش بقولك جبت رقمي منين؟
- عايزة تعرفي جبته منين!
- أيوه..
- يبقي قولي إنتي المكان اللي هنتغدى فيه بكرة..
- نعم!!! هو مين اللي خدعك أصلاً وقالك إننا هنتغدى سوا بكرة..
- خلاص يبقى مش هقولك جبت رقمك منين..

- مردتيش ليه ؟
- مش برد على أرقام غريبة بليل، ثواني هو ده إنت!
- طب ردي...

كان آخر ما كنت أتوقعه أن يكون المتصل هو كريم لم آخد وقت لأفكر في أي شيء منذ بداية حديثنا، لا أعرف حتى أكان يمزح أم لا...

- إنت جبت رقمي منين؟
- هي دي إزيك وحشتني عامل إيه يعني؟
- متهزرش بقولك جبت رقمي منين؟
- عايزة تعرفي جبته منين!
- أيوه..
- يبقي قولي إنتي المكان اللي هنتغدى فيه بكرة..
- نعم!!! هو مين اللي خدعك أصلاً وقالك إننا هنتغدى سوا بكرة..
- خلاص يبقى مش هقولك جبت رقمك منين..

- أنا زعلانة منك..
- خلاص بعد ما نتغدى بكرة هصالحك..
- بطل هزار بقى..
- على فكرة مبهزرش أنا بكرة أجازة قوليلي بتخلصي شغل إمتى بقى عشان أعدي عليكي ونروح نتغدى..
- لأ منا ببقى خارجة بلبس الشغل نستنى يوم أجازة..
- لأ ما إنتي هتاخدي معاكي لبس وهعدي عليكي وهتبقي جاهزة أنا باجي فى معادي ومبحبش التأخير وهتصحيني قبل معاد خروجك بساعة عشان ألحق أجيلك ومتروحش عليا نومة.
- ولو مصحيتكش
- هصحى لوحدي وهعدي عليكي وهتكوني جاهزة وهنروح نتغدى سوا..

لم أكن أعلم لماذا لم تكن ردودي على كريم بها أي نوع من أنواع الرفض للخروج معه حتى لو كانت على سبيل التدلل لا أكثر، لم أعتد مني على رد فعل كهذا وخاصة

مع شخصٍ لا أعرفه، فأنا وبكل ما تحمله الجملة من معنى "لو بتشقط هاخد وقت أكتر من كده"..

- مش عايزة تنامي..
- لا منا لسه صاحية..

تكررت هذه الجملة كثيرًا في مكالمتي مع كريم، والتي لم تنتهِ إلا في السابعة صباحًا.

- الساعة بقت ٧ ..
- هتروحي الشغل..
- آه يادوب بقى أقوم البس..
- ماشي ربنا معاكي..
- إنت هتعمل إيه؟
- هروح أنام وهستناكي تصحيني..
- ماشي، سلام..
- سلام..

رنَّ هاتفي برقم كريم بعد أن ارتديت ملابسي- مرةً أخرى، فرددت مبتسمة:

- إيه نسيت حاجة؟

- آه مش جايلي نوم فقولت أخليني معاكي لحد ما تروحي شغلك..

- مممممممم ماشي أمال هتنام إمتى؟

- أما تزهقي مني..

- خلاص خليك صاحي..

لم تنته مكالمتي مع كريم إلا قبل بدء عملي بخمس دقائق، ظللت مبتسمة طوال اليوم ولا أعرف السبب، ولكني كنت أعلم أنه هو سبب تلك الابتسامة التي لا أعرف سببها. أنهيت عملي سريعًا وقمت بتغيير ملابسي، وفي تمام الرابعة أتى كريم مرتديًا تي شيرت ألمانيا.

- إنت لابس تي شيرت ألمانيا ليه هو النهاردة الماتش بتاعها؟

- لأ بس هنتفرج على ماتش تاني..

- بس أنا مبحبش الماتشات..

- أمال مين اللي هيتفرج على ماتش الزمالك يوم التلات معايا!

- هو إحنا هنتفرج على ماتش سوا يوم التلات؟

- آه وهنشجع..

- آه أنـــا ممكـــن أشـــجع وأعمـــل أووووووووووه يسسسسسسسسه

- إنتي بتشجعي كده..

- آه مش التشجيع كده؟

- طبعًا طبعًا تحبي نروح فين بقى؟

- مش عارفة..

- طيب يلا بينا..

- على فين ؟

- مش عارف..

أخذني كريم إلى إحدى الكافيهات التي اعتاد على الجلوس بها مع أصدقائه، كان ينظر إلى الماتش وهو يتحدث إليّ في نفس الوقت:

- إتكلمي سامعك..
- أقول إيه؟
- كلميني عنك..
- طب إتكلم لإنت..
- خلاص اسئلي..
- مش بعرف..
- يبقى ردي..
- ما إنت مسألتش!
- إنتي مرتبطة؟
- هههههههههههه
- مرتبطة بيضحكك..
- لأ بس هو أنا لو مرتبطة كنت هخرج معاك ليه! واوعى تقولي يبقى خارجة عشان ترتبطي بيا..
- ده أساسي طبعًا.
- نعم!

الزمن مور ريد

- طب قوليلي خارجة معايا ليه؟

سؤال صعب، فأنا بالفعل لا أعلم لماذا وافقت على الخروج مع كريم، ولكني فعلت.

- عشان أعرف إنت جبت رقمي منين..

- بس كده..

- آه طبعًا.. وكمان أنا زعلانة منك عشان مرضيتش تقولي في التليفون..

- زعلانة أوي يعني..

- آه..

- طب هاتي إيدك..

- نعم!

- خايفة مني؟

- لأ، بس عايز إيدي ليه؟

- لو واثقة فيا هاتيها..

- مممممممممممم

لم يترك لي كريم وقتًا للتفكير كما اعتدت منه، لم أشعر سوى بسن قلم يتحرك على يدي "متزعليش" محاطة بقلوب صغيرة، رسمها كريم على كفي و بابتسامة منه قالها "متزعليش، وعلى فكرة أنا خدت رقمك منك يوم المعرض فاكرة؟" ثم قال:

- هاتي إيدك التانية..
- خلاص مش زعلانة..
- بقول هاتيها..
- هتكتب إيه طيب؟

" I Like You " كتبها كريم على يدي الأخرى.

- اقريها..
- ليه؟
- اقريها..
- I Like You
- I Like You Too
- يا مجنون!!!
- تعالي نقف عند السور شوية..

- لأ بخاف من الأدوار العالية..
- هتخافي وإنتي معايا؟
- مش عايزة أخاف..
- طب قومي..

لم يترك لي كريم الخيار في أي شيء حتى في ابتسامتي التي لم تكن على وجهي سواها، لم أفكر في أي شيءٍ سوى في اللحظة التي أعيشها الآن.

- بتفكري في إيه؟
- ولا حاجة.
- عارفة يا زيزي أنا عايز إيه..
- إيه؟
- عايز حد أكون أنا مركز اهتمامه الوحيد أكون بالنسبة له زي الشمس أنا اللي بعمله كل حاجة، وأي حاجة غيري مجرد حاجات بتدور حواليا وبس، أنا غيور وغشيم ومبتفاهمش في موضوع الغيرة ده، ومش عايز اللي في حياتي يكون في حياته أي حد تاني.

- هتحبسه جواك؟

- ليه متقوليش إني مش هخليه محتاج لحد غيري..

توقف عقلي عند هذه الجملة التي ظلت تتردد بداخلي كثيرًا هي وكل الكلمات التي قالها كريم في ذلك اليوم الذي لم أريده أن ينتهي لا أعرف لماذا، ولكن كل ما كنت أعرفه جيدًا أني مع هذا الشخص ومعه فقط ولأول مرة "قلبي فرحان من جواه".

قاطع كريم أفكاري قائلاً:

- إيه روحتي فين؟

- سرحانة..

- فإيه؟

- فيك..

- طب سرحانة فيا فإيه؟

- مش عايزة أحبك..

- عندك مشكلة إنك تحبيني؟

- عندي خوف إني أصلاً أحب!..

فور ريد

- خلاص لو خوفتي مني متحبنيش..

ثقة لا متناهية في كلام كريم وكأنه يعلم جيدًا ما قد فعل بي، بل وكأن ما فعله بي هو ما أراده تمامًا. أوصلني كريم إلى المنزل وودعني بجملة "أنا بكرة بردو أجازة أول ما تخلصي- شغل هعدي عليكي هوديكي مكان حلو وهيعجبك".

كل ما فعله كريم في هذا اليوم لم يكن يدل على شيءٍ سوى أنه لو كان حقيقيا فـ"أنا هحبه" وكيف لي أن أعلم أنه حقيقي فحسب ما يتردد عنه أنه "بتاع بنات وأنا مش حمل وجع تاني.. يا رب".

انتهي اليوم على مكالمة هاتفية بيني وبين كريم.

- اتبسطتي النهاردة؟آه..
- مش حاسس إنها من قلبك..
- كريم..
- نعم!
- هو إنت بتاع بنات؟
- آه..

- .....

- بس ده لحد ما ألاقي البنت اللي تخليني بتاعها هي وبس...

هل سيحدث هذا حقا؟

بعد أن انتهت الجدة من حكي هذا الجزء الشيق والمحوري من القصة، نظر زياد إلى جدته، وقال بتلقائية أضحكت كل من كان حولهم:

- أوووووووووه، دا إنتي اتشقطي يا تيتة!!

- آه يا حبيب تيتة تقريبًا تقريبا كدا، بس كان شقط حلال يعني..

***

بعد ليلٍ كامل من التفكير في كريم "جالي صداع" مَن هذا؟ مَن عساه أنً يكون ليقتحمني هكذا؟ كيف وأنا لا أعرفه ومن أول لقاء أخبره أني "سأحبه"؟ لماذا أصدق ما قال؟ ولماذا هو دون غيره؟ وهل سأحبه حقا؟ وإذا أحببته فهل سيصبح "بتاعي أنا وبس"؟

أسئلة كثيرة لم تتوقف إلا عندما قابلت كريم، تلك الابتسامة التي لم تفارقني كلما نظرت إليه، وتلك "التكشيرة" التي لا تفارقه كلما نظر لي شخصُ آخر. أخذني كريم وذهبنا إلى جامع الحاكم بأمر الله بالحسين. تفاجئت جدا بالمكان، فالمتوقع من "بتاع بنات" أن يأخذني إلى ملهى ليلي "مش جامع". عندما دخلنا طلب مني كريم أن نصلي، لم أجد مني إلا أن أسأله "كريم هو إنت بتصلي؟! فقال: بصي- أنا ممكن أعمل كل الموبقات اللي في الدنيا إلا أني أفوت فرض". ذهب كل منا ليصلي، ظللت أنظر إليه حتى ابتعد. كنت أعلم أن الدعوة في وقت الأذان مجابة لم أخطط للدعوة ولكني لم أجد على لساني غيرها "كريم يا رب".

- صليتي؟

- الحمد لله ودعيت كمان ومتسألش إيه الدعوة عشان مش هقولك غير أما تتحقق.

- زيزي..

- نعم..

- بحبك...

صمت تام...

هل يمكن أن تكون تلك إجابة الدعوة!

في شرع أي تفكير واقعي لثوانٍ قليلة كان من المفترض ألا أصدق تلك الكلمة، وبالفعل لم أصدقها بل شعرتها. نظرتك لي لم تكن تكذب حينها ذلك الدفء الذي شعره قلبي بعد أن أصابه الجمود، كيف لكلمة منك أن تحيي نبضًا لم أشعر به من قبل "بحبك" سمعتها كثيرًا من قبل، ولكن منك كان مذاقها مختلف حقا، كل ما شعرت به حينها أني أريد أن أحتضنك بشدة وأبكي كثيرًا ثم أضربك قائلة "اتأخرت أووووووي كوبه عليك".

ظللت صامتة حتى قطع كريم هذا الصمت قائلاً:

"ومش عايزك تقوليلي بحبك حتى لو حسيتي بيها دلوقتي إستني أما تتأكدي، أنا لسة خارج من تجربة ومش عايز أكررها مش عشان التجربة اللي عدت وجعتني بس عشان عارف إن الوجع منك هيبقي مختلف".

ثم تابع قائلاً:

- على فكرة كتب كتابنا إن شاء الله هيبقي هنا..

.

- هههههههههههههههههه ده على اعتبار إيه؟

- على اعتبار أني اعتبرتك وافقتي بصي- إنتي كده كده هتحبيني فلحد ما تقوليلي بحبك وده مش بعد مدة كبيرة اعتبريني حبيبك ومتضيعيش وقتك.

لم يكمل كريم جملته حتى سمعنا أصوات الزغاريد تملأ المكان و"عريس وعروسة وزفة كتب كتاب".

ضحك كريم بشدة قائلاً "دي علامة يا مارد".. ثم أخذني من يدي لنتفرج سويا على كتب الكتاب وسط دهشة ممن وقفنا بينهم "مين دول" ظللت مبتسمة وإذا بكريم يهمس في أذني قائلاً: "يوم كتب كتابنا هتبقي أحلى منها على فكرة".. نبرة ثقة تحمل الكثير من الوعود لن أنساها مهما حييت.

نور زيد

-١٤-

منذ ٢٠١٤/٦/٢٠، بدأت حياتي تأخذ منحنى آخر.

شكلاً مختلفًا تمامًا عن سابقتها، منذ أن رأيتها، وقابلتها صدفة، وقابلتها صدفة مرةً أخرى، ثم كلمتني لتعلق على ما قرأته فيكتابي، ثم طلبي مقابلتها، الذي كان أمرًا أقرب منه للطلب، لم أعرف من أين جاءتني تلك الثقة، ربما اعتدت فعل هذه الحركة كثيراً لأسبابٍ نفسية أكثر، ولكن هذه المرة كانت حقا مختلفة، شيء ما بداخلي كان يقول لي أن شيئًا مختلفًا سيحدث، كانت دقات قلبي تتزايد على غير العادة، كان كل شيء وقتها على غير العادة.

سيناريو غريب نوعًا ما، كنت نائمًا وعندما استيقَظتُ أرسلت هي لي، وعندما استيقَظتُ أنا وجدت رسالتها، أحاسيس مختلفة انتابتني في تلك اللحظة، سعادة، واستغراب، وصمت تام، وعجز، لم أدرِ ماذا سأفعل، بالطبع سأرد عليها، سأبادلها ردا برد، وسأكتفي، سأقف هنا، لم أعتد أن أبادر البنات بالحديث، على الرغم من سمعتي التي تسبقني كالريح في تلك النقطة، إلا أني طالما كنت حريصًا، ومعها بالذات، كنت أشد حرصًا عن ذي قبل.

اعترفت لها بحبي في لقائنا الثاني، ربما كان هذا نوعًا من الجنون، بل هو فعليا نوعٌ من الجنون، ولم أخبر أي شخصٍ وقتها حتى لا يخبروني أني أحمق ومتسرع، ولكني كنت على يقينٍ تام بأنني لم أتسرع، كل ما شعرت به وقتها أنها هي فتاتي المنشودة، التي بحثت عنها طويلاً، وكنت أعلم يقينًا أنني لم أعرف طباعها، وبالتالي لا يمكنني الحكم إن كنا سنصلح أم لا كي نخوض هذه العلاقة سويا، ولكن شيئًا ما بداخلي أخبرني ألا أعطيها الفرصة كي تضيع مني، وهذه من المرات القليلة التي لا يخالفني فيها إحساسي.

يومها نظرت إلى السماء الواسعة، ورأيت الله، رأيت الله في عينيها الخائفتين من مستقبلٍ مجهول، من شخص يعرض عليها قلبه وأن يأسر قلبها وهي لا تعرفه جيدا، لا تعرف كيف سيكون معها بعد أسبوع أو بعد شهر أو سنة أو عشر- سنوات، هل سيتغير عليها كما فعل من سبقه، رأيت الله في قلبها الذي خضع لي منذ المرة الأولى واستكان بين يدي وكأنه كان ينتظرني منذ سنين، رأيت الله في نجاتها من محاولة انتحارٍ فاشلة، وكأن الله أراد أن يعطيها فرصة ثانية كي نتقابل، بل أكادُ أجزم أنه نجَّاها كي يعطيني أنا فرصة كي أكون ما أحب، وما أنا عليه، أخبرتها أني أحبها، ولم أندم للمرة الأولى.

وتذكرت حينها عندما حضرت إحدي الجلسات النفسية التي اعتدتها، وهذه المرة كان الضحية هو "الحب من أول نظرة"، اعترف بعضهم أنه مر بتلك التجربة، ونفى البعض الآخر أن يوجد أصلاً ما يُسمي بالحب من أول نظرة، فقال الأستاذ حسام الذي يبدو أنه ليس صغيراً:

- هههههههههههههههههه حب إيه اللي إنت جاي تقول عليه، إنت عارف قبلا معنى الحب إيه ... الله يمسيك بالخير يا لمبي، حب إيه اللي من أول نظرة إحنا هنهرج، يعني إيه أشوف حد لأول مرة، عمري ما اتكلمت معاه ولا أعرف طباعه ولا صفاته ولا أخلاقه ولا أعرف حاجة عنه وهوب أقول إني حبيته، ده كلام فاضي طبعًا وميدخلش مخ عيل صغير، وكلام العيال بتضحك بيه ع البنات عشان يظبطوهم مش أكتر من كدا، بلا حب بلا بتاع الحياة كدا نعناع، الحب ده بيجي بعد العشرة، يعني أم سيادتك لامؤاخذة تاخدك تقابل واحدة هي عارفة طباعها وأخلاقها بنت حلال، ولو حصل قبول بتمشوا في الإجراءات الطبيعية خالص، وبعدين لما بتتجوزوا بيبقى فيه عشرة وعيال وبيت،

بيجي بقى الحب هنا بعد ما الناس تتجوز وتعرف بعض وتعاشر بعض، ده يبقى اسمه حب بجد، مهما الواحد عرف خطيبته فترة الخطوبة عمره ما بيعرف عنها كل حاجة وبيفضل برضه في حاجات كتير مش هيعرفها إلا بالعشرة، أصل يا أساتذة محدش يقنعني إن بني آدم بشوفه ساعتين تلاتة كل يوم مثلاً في الشارع هعرفه أكتر من بني آدم بشوفه كل ثانية وبصحى وأنام في وشه كل يوم، ربنا عرفوه بالعقل.

فعقب المحاور:

- طيب ده رأي الأستاذ حسام، حد عنده رأي مخالف؟

فقالت سلمى التي انفصلت عن زوجها منذ فترة بسيطة قائلة:

- أيوا أنا، على فكرة الكلام ده مش صح أوي، بص يمكن يكون كلامك منطقي شوية مش هقول لأ وأكيد فيه جزء صح، بس ما ينفعش إنك تعمم، التعميم في حد ذاته غلط، مش كل الناس زي بعض، ولا كل التجارب زي بعض، ومش معنى إنك ما عديتش بتجربة معينة

يبقى هي مش موجودة، لأن أنا حبيت من أول نظرة، وكان حب قوي جدا، يمكن آه ما كملتش بس ده كان لأسباب تانية ملهاش علاقة بالنقطة اللي بنتكلم فيها.

فتدخل المحاور قائلاً:

- بصوا يا جماعة، زي ما سلمى قالت التعميم أكبر غلط ممكن بني آدم يرتبكه في حق الناس التانية، إنت عمرك ما هتمر بكل التجارب اللي في الدنيا، عشان كدا الناس بتتعلم من بعض، اللي أنا بعدي بيه بحكيه لواحد صاحبي فبيتعلم منه حاجة، والعكس صحيح، وكلنا كدا، عشان كدا إحنا مختلفين، أرواحنا نفسها مختلفة، طريقة حبها للأشياء وللناس مختلفة تمامًا.

أما بالنسبة لموضوع الحب من أول نظرة فالموضوع ده بالذات خارج كل القوانين الكونية اللي البشر عرفتها ولسة معرفتهاش، مينفعش تقعد تحسبها زي ما بتحسب مصاريفك أول كل شهر، الموضوع ده بالذات مينفعش يمشي حسب المنطق والعقل، لأنه أصلا بيبقى غير عقلاني وغير منطقي تمامًا، بيبقى زي طيف بيجي من السما يخبطك، يغمي عليك، تفوق من الخبطة تلاقي نفسك بتحب، مين بقى راح فين، مين عمل إيه فمين، ده مش

بتكتشفه ولا عمرك هتكتشفه، ولو حصل بيبقى بعد عمر وسنين طوال أوي، في الحب من أول نظرة الكيميا بتشتغل، الروح بتتشعلق في روح تانية من غير ما تحس، القلب بيدق فجأة من غير ترتيب، الحب من أول نظرة هو أجمل وأوحش حاجة في الدنيا في نفس الوقت.

انتهت الجلسة عند هذه النقطة، لم أتحدث يومها لضيق الوقت، ولكن لو سألوني لكنت قلت أني من أشد المؤمنين بالحب من أول نظرة، ولكني مؤمن أيضا أنه ليس هو هذا الحب العنيف الأزلي، ولكنه نوع من الانجذاب، بعض التغييرات التي تحدث في خلايا الروح والعقل والجسم والتي تحدث مثلها لدى الطرف الآخر، ليتقابلا عند نقطة ما، لتلتقي أعينهم دون سابق ترتيب، ليتحدثا كثيراً دون أن يعرفا فيما سيتحدثان، ولماذا يتحدثان أصلاً، تنتابهما رغبة في الجلوس سويا لساعاتٍ طويلة دون أن يملا، وكلما حان موعد الرحيل يختلقان شيئًا ما ليظلا سويا، وبعدها يمكن أن يصلا لهذا الحب الأزلي، ويمكن أن يفترقا هذا الفراق الأزلي.

***

أسبوع من اللقاءات المتكررة، ولأول مرة أشعر وكأنه "كل يوم بيعدي معاها أحلى من اللي قبله". كان عليَّ أن أسافر للإسكندرية لحضور إحدى الندوات التي سأشارك فيها، الكثير

بتكتشفه ولا عمرك هتكتشفه، ولو حصل بيبقى بعد عمر وسنين طوال أوي، في الحب من أول نظرة الكيميا بتشتغل، الروح بتتشعلق في روح تانية من غير ما تحس، القلب بيدق فجأة من غير ترتيب، الحب من أول نظرة هو أجمل وأوحش حاجة في الدنيا في نفس الوقت.

انتهت الجلسة عند هذه النقطة، لم أتحدث يومها لضيق الوقت، ولكن لو سألوني لكنت قلت أني من أشد المؤمنين بالحب من أول نظرة، ولكني مؤمن أيضا أنه ليس هو هذا الحب العنيف الأزلي، ولكنه نوع من الانجذاب، بعض التغييرات التي تحدث في خلايا الروح والعقل والجسم والتي تحدث مثلها لدى الطرف الآخر، ليتقابلا عند نقطة ما، لتلتقي أعينهم دون سابق ترتيب، ليتحدثا كثيراً دون أن يعرفا فيما سيتحدثان، ولماذا يتحدثان أصلاً، تنتابهما رغبة في الجلوس سويا لساعاتٍ طويلة دون أن يملا، وكلما حان موعد الرحيل يختلقان شيئًا ما ليظلا سويا، وبعدها يمكن أن يصلا لهذا الحب الأزلي، ويمكن أن يفترقا هذا الفراق الأزلي.

***

أسبوع من اللقاءات المتكررة، ولأول مرة أشعر وكأنه "كل يوم بيعدي معاها أحلى من اللي قبله". كان عليَّ أن أسافر للإسكندرية لحضور إحدى الندوات التي سأشارك فيها، الكثير

من التنظيمات والمواعيد والآراء المختلفة حتى تم إلغاء الحفل بالكامل.

كنت قد وعدت الإسكندرانية بأني حتمًا سأذهب، ولكن الندوة ألغيت، لم أدرِ ماذا أفعل وما هو التصرف الصحيح في هذا الوقت. تحدثت معها كثيرًا وطلبت منها أن نسافر الإسكندرية معًا وأن هذا الوقت مناسب جدًا كي نكون وحدنا في تلك المدينة الرائعة، سنجلس على البحر كثيرًا ونتحدث أكثر، ستكون أول سفرية لنا سويا بعد أسبوعنا الأول معًا.

كتبت للناس أني سأكون موجودًا في سيلنترو بجوار مكتبة الإسكندرية وأني سأقابلهم، وسأوقع كتابي وسيكون وقتًا ممتعًا، لن أهتم بالمنظمين ولا الندوات وكل هذا، ساهتم بمن يهتمون بي فقط ومن هم حريصون علي مقابلتي، سأذهب إليهم وأجلس معهم دون أي قيود أو رسميات.

تحدثت مع زيزي وقررنا في النهاية ألا تأتي معي وأن أذهب بمفردي، وكان السبب الوحيد أني سأنشغل عنها خاصة أني سأقابل بعض الأصدقاء هناك بعد لقائي في مكتبة الإسكندرية، ولن أكون قادرًا علي الاهتمام بها بالشكل الكافي، المهم أننا في النهاية اتفقنا على ألا تأتي، لم تكن سعيدة وكذلك أنا، كنت أتمنى أن ترافقني في سفري الأول معها، وكانت تتمنى هي لو ترافقني

كي تكون حاجزًا بيني وبين الفتيات اللاتي سيأتين لمقابلتي .. إنها الغيرة.

بالفعل، سافرت ووصلت إلي الإسكندرية متأخرًا، جاءتني الكثير من المكالمات من أشخاص أتوا لمقابلتي، ولكنهم رحلوا لأني تأخرت، شرحت لهم أن التأخير لم يكن بسببي وأنه لظروف الطريق، بعضهم تفهم الأمر وبعضهم كان غاضبًا.

ما إن وصلت حتى كلمتني زيزي للاطمئنان عليَّ:

- حمدًا لله على سلامتك..
- الله يسلمك كان نفسي تبقي معايا..
- هتتعوض إن شاء الله..
- ماشي أنا هروح أقابل الناس اللي مستنياني وهبقى أكلمك كل شوية..
- إستنى، غمض عيونك كدهو..
- كدهووو..
- أيون،، قولي شايف إيه ؟
- سواد..

من التنظيمات والمواعيد والآراء المختلفة حتى تم إلغاء الحفل بالكامل.

كنت قد وعدت الإسكندرانية بأني حتمًا سأذهب، ولكن الندوة ألغيت، لم أدرِ ماذا أفعل وما هو التصرف الصحيح في هذا الوقت. تحدثت معها كثيراً وطلبت منها أن نسافر الإسكندرية معًا وأن هذا الوقت مناسب جدا كي نكون وحدنا في تلك المدينة الرائعة، سنجلس على البحر كثيراً ونتحدث أكثر، ستكون أول سفرية لنا سويا بعد أسبوعنا الأول معًا.

كتبت للناس أني سأكون موجودًا في سيلنترو بجوار مكتبة الإسكندرية وأني سأقابلهم، وسأوقع كتابي وسيكون وقتًا ممتعًا، لن أهتم بالمنظمين ولا الندوات وكل هذا، سأهتم بمن يهتمون بي فقط ومن هم حريصون علي مقابلتي، سأذهب إليهم وأجلس معهم دون أي قيود أو رسميات.

تحدثت مع زيزي وقررنا في النهاية ألا تأتي معي وأن أذهب بمفردي، وكان السبب الوحيد أني سأنشغل عنها خاصة أني سأقابل بعض الأصدقاء هناك بعد لقائي في مكتبة الإسكندرية، ولن أكون قادرًا علي الاهتمام بها بالشكل الكافي، المهم أننا في النهاية اتفقنا على ألا تأتي، لم تكن سعيدة وكذلك أنا، كنت أتمنى أن ترافقني في سفري الأول معها، وكانت تتمنى هي لو ترافقني

كي تكون حاجزًا بيني وبين الفتيات اللاتي سيأتين لمقابلتي .. إنها الغيرة.

بالفعل، سافرت ووصلت إلي الإسكندرية متأخرًا، جاءتني الكثير من المكالمات من أشخاص أتوا لمقابلتي، ولكنهم رحلوا لأني تأخرت، شرحت لهم أن التأخير لم يكن بسببي وأنه لظروف الطريق، بعضهم تفهم الأمر وبعضهم كان غاضبًا.

ما إن وصلت حتى كلمتني زيزي للاطمئنان عليَّ:

- حمدًا لله على سلامتك..
- الله يسلمك كان نفسي تبقي معايا..
- هتتعوض إن شاء الله..
- ماشي أنا هروح أقابل الناس اللي مستنيني وهبقى أكلمك كل شوية..
- إستنى، غمض عيونك كدهو..
- كدهووو..
- أيون،، قولي شايف إيه ؟
- سواد..

- أهو ده يا روحي نفس اللي هتشوفه أي واحدة تفكر تتنحنحلك أو تتسهوك عليك أو تفكر إنها تفكر ذات ليلة سوداء في مخيلتها إنها ممكن تقرب منك كدهووو ولا كدهووو... ماشي..
- يالهوي هو أنا في حد يتسهوك عليا غير حبيبي وبس أنا أقدر.

جاء الناس تباعًا، أولاد وبنات كثر، جلسنا جميعًا معًا نضحك ونتحدث ونلتقط الصور.

على الناحية الأخرى كانت هي غاضبة للغاية عندما أرسلت لها إحدى الصور التي التقطناها، كانت الغيرة قد بدأت تشتعل في داخلها.

الغيرة بالنسبة لي تساوي الحب، لا أهتم كثيرًا بالكلام عن أن الغيرة قلة ثقة، ومبدئي دائمًا هو:

"أنا لو مش واثق فيكي مش هفكر فيكي كزوجة من الأول، وهصاحبك شوية وخلص الموضوع، الغيرة بنسبة لي على أد حبي للي أدامي".

هذا هو مبدئي الذي لا يتفق معه الكثيرون، ولكن هذا هو أنا وهذا هو ما بداخلي وما أؤمن به حقا.

***

"ولما هي كانت قايلالك يا سي جدو إنها غيرانة، وقايلالك متكلمش بنات تقوم تتصور معاهم وكمان تبعتلها الصور".

- على فكرة أنا كمان يا جدو مش موافقك على اللي إنت عملته، إزاي تبعتلها الصور الحاجات دي في الـ hide كده عشان تعرف تتبسط مش يتنكد عليك.

نظرت له نور في غضبٍ، ثم ردت عليه الجدة قائلة:

- أحلى حاجة في أي علاقة الصراحة، حتى لو هتحكي حاجات غلط إنت بتعملها، وحتى لو اللي قدامك هيعاقبك ده هيبقى أحسن بكتير أوي ما يعرفها من وراك وصورتك تتهز في نظره.

- ومين يسمع يا تيتة، يا ريت كل الرجالة زي جدو بس المهم احكيلي أما جدو بعتلك الصور دي حسيتي بإيه؟

***

قبل سفر كريم بيوم قرر أن يضع صورة لي معه على موقع الـ " Facebook " لم أعترض، فكانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي تمنع "النحانيح" عنه؛ لأن الكثير سيعلم أنه ارتبط.

- هحط صورتك معايا وأوقف حالك.
- أنا مش عايزة حالي يمشي غير معاك أصلاً.

لم أحسب لأي شيءٍ سوى هذا، ولكن ما إن وضع كريم الصورة حتى انهالت عليّ الرسائل من أصدقائي من عينة:

"إنتي مجنونة!"

"كريم هشام يا زيزي! سيبتي كل الدنيا وملقيتيش غير كريم هشام!".

"يخربيتك ده بتاع بنات إنتي ناقصة".

"إنتي عاملة زي اللي خد على أفاه..

و فضل ياخد على أفاه..

و عارف إنه هياخد على أفاه..

و مجهز أفاه..

عشان ياخد تاني على أفاه"..

لم أردّ على أي رسالة، فلم أكن أريد الدخول في نقاش ليس لدي أي دليل للخوض فيه سوى إحساسي أن "كريم كويس" لا أكثر، فسمعته وماضيه الذي يعرفه الكثير كان أول العوائق التي وقفت في طريقنا، ولكنني لم أكن أكترث لها فكنت قد أخبرت كريم "إنت زي ما ليك ماضي أنا كمان ليا، أكيد علاقاتك أكتر من

علاقاتي بس كل اللي هطلبه من ربنا قبل ما أطلبه منك أني أكون آخر حد في حياتك وإنك تكون آخر حد في حياتي، وأنا واثقة فيك، إنت رجعتني أتنفس تاني بس ده نفس أخير، لو خلص... هموت!".

لم ينتهِ الأمر عند هذا، فكانت أغلب التعليقات على صورتي مع كريم:

"دي المزة الجديدة"..

"كلها شهرين وتيجي اللي بعدها"..

"ربنا يهديك يبني وتبطل لعب ببنات الناس"..

"يخربيتك إنت بتجيب المزز دي كلها منين"..

ومن رأف بي في تعليقه، كتب "يا رب تكون الأخيرة بقى"..

لم أكترث لكل هذه التعليقات، ولم أخبر كريم أيضًا حين وصلتني تلك الرسائل حتى لا أضايقه قبل سفره، ولكن ما إن أرسل لي صوره مع معجباته حتى استشاط غضبي ولم أفعل أي شيءٍ سوى مكالمته والبكاء كثيرًا.

الناس ...

الناس لعنة على بعضهم البعض ...

هذا هو ما تيقنت منه مؤخراً ...

من يكتب يهتم بآراء الناس عنه .. من يقل رأيًا يهتم برضا الناس حتى يوافقونه وتزيد شهرته .. الناس هم المحرك الأساسي لأفعال الآخرين.

منذ مدة غير طويلة قررت كسر- هذه القاعدة واتباع قاعدة جديدة وهي "طظ في الناس".

تقول الجملة المشهورة إن رضا الناس غاية لا تُدرك، وازيد قائلا: إن مَن حاول رضا الناس فلن يُرضي الناس ولن يُرضي نفسه.

ماذا يهمك من الآخرين، فعندما تفرح لن يفرحوا مكانك، وعندما تحدث لك مصيبة لن يحزنوا بدلاً منك، ولن يعانوا كما ستعاني أنت، فليتقبلك الناس كما أنت، بعيوبك ومميزاتك، بأفضل ما فيك وأسوأ ما فيك، فمن أراد فأهلاً به، ومن لم يرِد أن يتقبلك كما أنت فهذه مشكلته هو فلا أحد يجبر أي شخص على أن يحبه، ولكن أن تحاول إرضائهم وتكون أفعالك مبنية على أن تنافقهم حتى تنال رضاهم، فهذا هو أسوأ ما يمكن أن يفعله شخص بنفسه.

كلام الناس هو سبب فشل معظم العلاقات، فمعروف أن كثرة الكلام تفسد الأشياء، وكثرة التدخلات تدمر كل شيء، كلام الصديقات مع بعضهن البعض، وكلام الأصدقاء على السواء، دائمًا ما اقتنعت بأن المشكلة بين حبيبين يجب أن تظل بينهما، فإن خرجت فهذا هو بداية الفشل. ولذلك كنت سعيدًا لأنها وأنا نتفق على هذا المبدأ، لا يعرف أحد ما بيننا، ولا يتدخل الآخرين في مشاكلنا، مشاكلنا تخصنا وحدنا، ليس من حق الآخرين أن يقولوا فيها رأيًا، أو أن يتبرعوا بأن يحلّوا مشكلة بيننا في حين أننا لم نطلب هذا من أحد، وهذا هو الأفضل لنا.

***

مر الوقت سريعًا حتى كان موعد عودتي، وموعد أول اختبار لنا، هل ما بيننا صادقاً بما يكفي أم لا، هل هو قوي حقا أم لا، هل يستحق أن نعاني من أجله أم لا؟

اتصلت بي في طريق عودتي؛ لأني لم أتحدث معها منذ عدة ساعات.

عندما رددتُ عليها، كان أول ما سمعته صوت بكائها ...

- إيه يا بنتي حصل إيه؟
- هم بيعملوا معانا كدا ليه؟
- هم مين؟

الناس ...

الناس لعنة على بعضهم البعض ...

هذا هو ما تيقنت منه مؤخراً ...

من يكتب يهتم بآراء الناس عنه .. من يقل رأيًا يهتم برضا الناس حتى يوافقونه وتزيد شهرته .. الناس هم المحرك الأساسي لأفعال الآخرين.

منذ مدة غير طويلة قررت كسر هذه القاعدة واتباع قاعدة جديدة وهي "طظ في الناس".

تقول الجملة المشهورة إن رضا الناس غاية لا تُدرك، وأزيد قائلاً: إن مَن حاول رضا الناس فلن يُرضي الناس ولن يُرضي نفسه.

ماذا يهمك من الآخرين، فعندما تفرح لن يفرحوا مكانك، وعندما تحدث لك مصيبة لن يحزنوا بدلاً منك، ولن يعانوا كما ستعاني أنت، فليتقبلك الناس كما أنت، بعيوبك ومميزاتك، بأفضل ما فيك وأسوأ ما فيك، فمن أراد فأهلاً به، ومن لم يرِد أن يتقبلك كما أنت فهذه مشكلته هو فلا أحد يجبر أي شخص على أن يحبه، ولكن أن تحاول إرضائهم وتكون أفعالك مبنية على أن تنافقهم حتى تنال رضاهم، فهذا هو أسوأ ما يمكن أن يفعله شخص بنفسه.

كلام الناس هو سبب فشل معظم العلاقات، فمعروف أن كثرة الكلام تفسد الأشياء، وكثرة التدخلات تدمر كل شيء، كلام الصديقات مع بعضهن البعض، وكلام الأصدقاء على السواء، دائمًا ما اقتنعت بأن المشكلة بين حبيبين يجب أن تظل بينهما، فإن خرجت فهذا هو بداية الفشل. ولذلك كنت سعيدًا لأنها وأنا نتفق على هذا المبدأ، لا يعرف أحد ما بيننا، ولا يتدخل الآخرين في مشاكلنا، مشاكلنا تخصنا وحدنا، ليس من حق الآخرين أن يقولوا فيها رأيًا، أو أن يتبرعوا بأن يحلّوا مشكلة بيننا في حين أننا لم نطلب هذا من أحد، وهذا هو الأفضل لنا.

***

مر الوقت سريعًا حتى كان موعد عودتي، وموعد أول اختبار لنا، هل ما بيننا صادقاً بما يكفي أم لا، هل هو قوي حقا أم لا، هل يستحق أن نعاني من أجله أم لا؟

اتصلت بي في طريق عودتي؛ لأني لم أتحدث معها منذ عدة ساعات.

عندما رددتُ عليها، كان أول ما سمعته صوت بكائها ...

- إيه يا بنتي حصل إيه؟
- هم بيعملوا معانا كدا ليه؟
- هم مين؟

- الناس كلها ماحدش عايزني أكون معاك..
- طيب بالراحة عشان أعرف أفهم، ممكن تقوليلي حصل إيه بهدوء كدا..
- كذا حد اتصل بيا وعمال يقولي بلاش كريم، وإنتي إزاي تعملي في نفسك كدا، ده بيلعب بالبنات، ده ملوش أمان، إحنا نعرف عنه بلاوي، هو إنت وحش أوي كدا؟
- إنتي شايفة إيه؟
- أنا خايفة يا كريم خايفة أوي ومش عايزة حاجة غير إنك تطمني، أنا ببقى متطمنة وأنا معاك..
- بس أنا شخصيا ميهمنيش أكتر من كدا وبعدين إنتي عارفة إن آخر حاجة بهتم بيها الناس وكلامهم.

ظلت تبكي لفترة طويلة وأنا أحاول تهدئتها، نجحت في النهاية.

لم يتوقف الأمر عند تلك النقطة؛ فمحاولات هؤلاء الأشخاص لم تتوقف عند هذا الحد، عرفت بعضهم والبعض الآخر لم ترد أن تخبرني عنهم لأنه قريبون مني نوعا ما.

لمدة أسبوع لم تسلم من الرسائل والمكالمات التحذيرية من الذئب البشري الذي تعرفت عليه وتريد الارتباط به...

"بلاش كريم".

"يبنتي اسمعي هيرميكي زي ما رمي غيرك".

"اوعي يا زيزي، سمعته زي الزفت ومعروف إنه بتاع بنات"..

"إنتي صاحبتنا وإحنا خايفين عليكي، بلاش الواد ده بالذات"..

جمل كثيرة مشابهة ظلت تتردد على آذاننا وأمام أعيننا لفترة غير قصيرة.

اطمأن كل منّا للآخر بعد هذا الموقف، تمسكت هي بي بشكل أذهلني شخصيا، واستطعت أنا طمأنتها، استطاع كل منّا أن يثق في الآخر وفي حبه له، نجحنا في الاختبار الأول.

كنت خائفًا للغاية، كنت خائفًا أن تستمع لهم، أو يستطيعوا التأثير علينا بشكل أو بآخر، كنت خائفًا من أن نفشل، ألا نمر من هذه المحنة بسلام، وعلي الرغم من أننا لم نعرف بعضنا إلا من مدة قصيرة، ولكني كنت على يقين أني أعرفها منذ مدة طويلة جدا، أعرفها منذ أن خلقني الله لها، ومنذ أن وعيت على الحياة وهي بداخلي، لم تذهب إلى أي مكانٍ آخر، كل ما في الأمر أنها كانت تكبر أكثر وأكثر، ينمو حبها بداخلي، يزداد يومًا بعد يوم، أمرّ بالتجربة تلو الأخرى حتى أستطيع أن أميزها عن

غيرها عندما تأتي، هي مني وأنا منها منذ أمدٍ بعيد، ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد كي نلتقي، لم يكن الله قد أذن لنا بعد، وعندما حان الموعد التقينا، دون ترتيبٍ أو تحضيرٍ، دون الكثير من "اللف والدوران"، فقط التقينا لنُتِم أمرًا كان مفعولاً، لننفذ قدرًا كتبه الله علينا.

حمدت الله كثير أننا نجحنا في هذا الاختبار، لم يحدث ما كنت أخشاه، تمسكت بي، كانت على استعدادٍ تام أن تخسر- جميع أصدقائها الذين تأزموا كثيرًا من دخولي في حياتها كي تحافظ عليَّ وحدي، وكنت مستعدًا أن أثبت لهم جميعًا أنهم مجرد مجموعة من الحمقى والمتطفلين والأغبياء، فقط.

مرَّ وقتٌ لا يذكر فيه الكثير، مجرد محاولات لكل منَّا كي يفوز بنسبة أكبر من قلب الآخر، لم يكن الأمر صعبًا فكل منَّا كان مرتاحًا للآخر، مما سهَّل علينا الكثير.

قابلتنا عدة عقبات، أبرزها كان طباع كلٍّ منَّا التي لا يستطيع تغييرها، وكرة القدم.

كرة القدم بالنسبة لي هي عشق لا ينتهي، قد يصل الأمر أن أخرج من عملي مبكرًا كي أشاهد مباراة في الدوري الإنجليزي أو الإسباني، أو الحب الأكبر، الزمالك.

كنت ألعب في الزمالك عندما كنت صغيراً، وأكملت مسيرتي الكروية القصيرة في مركز الشباب المجاور لمنزلي، لعبت فترة كافية بأن تجعل حبي لكرة القدم جزءًا لا يتجزأ من شخصيتي، وكان هذا الأمر بمثابة عائق بيني وبين كل الفتيات اللاتي عرفتهن، رغم أنه يبدو تافهًا، إلا أنه ليس كذلك في الواقع.

أتذكر أول مباراة شاهدتها مع زيزي، كان الزمالك يلاقي الأهلي في كأس السوبر، ذهبت معها وصديقي وأختي، جلسنا لنشاهد المباراة، وعندما ضيع الزمالك كرة سهلة انفعلت بشدة وأوقعت الكوب الذي كان أمامي، فوجدتها تضحك بقوة ...

- إنتي بتضحكي علي إيه مش فاهم..
- ما لك يا كريم اهدى بتزعق ليه؟
- عشان أنا متعصب وإنتي بتضحكي، إيه اللي بيضحك في اللي بيحصل؟
- اهدى طيب ما لك صوتك مسمع المكان كله، أنا آسفة مش قصدي شكلك بس وإنت منفعل ضحكني، خلاص آسفة..

نور زيد

منذ تلك اللحظة وهي تجيد التعامل مع انفعالاتي الكروية إذا تصادف أننا نشاهد مباراة سويا.

أما المشكلة الثانية، فكانت في شخصيتها، فهي حسَّاسة للغاية، حتى إني قلت لها ذات مرة:

- الحساسية اللي عندك دي مش أوفر، إنتي عديتي مرحلة الأوفر دي بكتير.

كانت معترفة بأن لديها مشكلة، ولكنها لا تستطيع التغلب عليها، فكانت تبكي لأقل الأسباب وأتفهها، تبكي بسبب وبدون، حتى إني شككت أن غددها الدمعية بها مشكلة ما، حاولت أن أفهم منها ولم يكن لديها مبرر سوى أنها شخصية حساسة للغاية، لا تحتمل أي كلمة قد تضايقها، أو أي ظلم قد يقع عليها.

كنا نختلف سويا في تعريف الأخطاء والظلم الواقع عليها، فما كنت أراه عاديًا كانت تراه مشكلة كبيرة، ظل هذا الأمر يسبب لنا المشاكل حتى وقت قريب للغاية.

بذلت مجهودًا كبيرًا حتى أستطيع أن أعالج هذا الأمر، أحيانًا كنت أنجح، وأحيانًا أخرى كنت أشعر أني الفاشل الوحيد على سطح الكوكب.

كانت قناعتي هي أن الناس يَقبَلون بعضهم البعض بعيوبهم ومميزاتهم دون أن يحاولوا تغيير أي شيء، فلا أحد يتغير إلا مَن رحم ربي، وتكون تلك التغييرات طفيفة، أما تغيير الطباع والصفات الشخصية فهي تظل راسخة طوال الوقت، لا يستطيع الواحد أن يهرب منها، وحتى إن نجح في هذا، فهي تلاحقه حتى تتمكن منه مرة أخرى، لتسبب له المشاكل من جديد.

لم يكن أحد منَّا يحاول تغيير الآخر، ولكن كنا نشعر أننا نستحق الأفضل، وهذه العلاقة تستحق أن تكون على أفضل صورة، ولذلك كنا نحاول بشتى الطرق أن نتجنب المشاكل، حاولنا كثيراً، ولكننا لم ننجح طوال الوقت، فأي علاقة مليئة بالمفارقات التي لا بد منها!.

أما المشكلة الأخرى، فكانت عصبيتي، وعدم قدرتي على الاحتمال، فكان أسهل شيء عندي أن أصرخ في وجه الآخرين إذا فعلوا ما يزعجني، وكم حاولت هي أن تعالج هذا الأمر.

ويمكن أن أقول أننا نجحنا بنسبة كبيرة، نجحنا لا لأننا خارقين، ولكن لأن ما بيننا يستحق أن نبذل الكثير من أجله.

كنت عادة ما أسألها سؤالاً غبيا، لا أعرف لماذا كنت أسأله أصلاً...

- تعرفي إنك لحد دلوقتي ما قلتليش بحبك..

- حد يقول لحد كدا؟
- لأ مش قصدي عارف إن دي جملة غلط بس مستغرب يعني..
- إنت عايزها تتقال عشان تسمعها وخلاص ولا عايزها تتقال لما تطلع مني؟
- أكيد لما تطلع منك.
- خلاص سيبها تاخد وقتها، عشان لما هتتقال هتبقى أجمل مما تتخيل، وهتشوف زيزي بتحبك إزاي.
- تعرفي إنك الوحيدة اللي لما قلتيلي سيبها تاخد وقتها ما قلقتش منك، ما حسيتش إنك بتقوليها عشان لسة بتفكري أو بتقرري، أو بتقوليها عشان تسكتيني بشكل شيك، إنتي بتقوليها عشان إنتي عايزاها تبقى بجد مش أكتر.
- إنت كده بدأت تفهمني..

-١٦-

مرَّ أسبوع آخر بعد أول لقاء مقصود بيني وبين كريم الكثير من الأحداث والأفعال التي لم أجد لها ردا في قاموسي سوى "ربنا يخليك ليا"، سألني كريم كثيرًا لماذا لم أقول له أني أحبه رغم أن جميع أفعالي لا تدل إلا على أني بالفعل كذلك.. كان ردي دائمًا "عشان أما هقولك بحبك مش هتبقى زي أي بحبك اتقالت"، وبالفعل قررت أن أجعل لـ"بحبك" يومًا خاصا، يومًا يليق بكريم، يليق بما أشعر به تجاهه، ويليق بكل ما فعله هو في مدة قصيرة جدا من أجلي.

أحببته ولم يكن هذا الحب سوى شعور طبيعي بعد كل ما كان يفعله كريم معي ويؤكد لي يومًا بعد يومٍ أنه يستحق أني أحيي من أجله كل ما كنت قد ظننت أنه قد مات بداخلي؟

"حبيته، مش بس عشان حنين وطيب وبيستحمل حساسيتي الزيادة عن اللزوم وبيعمل كل حاجة عشان يخليني مبسوطة، أنا بحبه عشان أنا ببقي مبسوطة من قبل حتى ما هو يعمل أي حاجة كفاية إني أشوفه بيضحك، قلبي بيفرح... مبحسش وأنا جنبه غير إني عايزة أحضنه، أووووووي، أحضنه وبس، ساعتها لو مُت هموت وأنا قلبي بيضحك".

كان هذا ردي على ندى التي ردت عليَّ وهي تضحك "قصدك هتموتي وقلبك عايش يا بنت المحظوظة".

بدأت أفكر في أشياء كثيرة، بعضها مكرر، وبعضها مجنون، وبعضها غير متوقع على الإطلاق أن تفعله "بنت" لم يكن يحركني سوى شعور الحب بداخلي، ولم يكن يوقفني سوى حب كريم لـ"الكرة" ضُرتي الأبدية. فبعد أن رتبت كل شيءٍ وحددت الموعد الذي سأخبر به كريم بتلك الكلمة التي ينتظرها "أسبوعين" تصادف أن يكون في نفس اليوم الذي ستلعب فيه ألمانيا مباراة الدور ربع النهائي في كأس العالم، وكان من رابع المستحيلات أن أخترع أي شيءٍ يمكنه أن يمنع كريم عن مشاهدة ماتش لألمانيا، فلم أجد أمامي إلا أن أفتعل بعض المشاجرات الصغيرة بيننا حتى أجعل تلك المفاجأة أجمل من مشاهدة ماتش ألمانيا.

***

وفي يوم ٤-٧-٢٠١٤، كانت ألمانيا على موعد مع فرنسا في نهائيات كأس العالم، وألمانيا هو المنتخب المفضَّل بالنسبة لي في البطولات العالمية، وكان صديقي قد اشتري لي من الخارج تيشيرت منتخب ألمانيا، وكنت سعيدًا به للغاية وأرتديه في جميع المناسبات بداعٍ وبدون.

كنا قد اتفقنا على أن نتناول الإفطار ثم نشاهد المباراة سويا، اتفقنا ورتبنا كل الأمور، وكانت الأمور بيننا غير مستقرة، وكنا قد تشاجرنا قبلها بعدة أيام وظلت العلاقة متوترة.

وبالفعل، ذهبت إليها بعد انتهاء عملها، أصرت على ألا نسير بالسيارة، قالت لي إنها تريد أن تتمشى على النيل قليلاً ...

- يبنتي نتمشى إيه إحنا صايمين وتعبانين خلينا نروح نشوف هنفطر فين ونقعد في مكان هيشغل الماتش عشان ألمانيا هتلعب.
- طيب يعني أنا نفسي أتمشي شويه..
- يووووووه طيب..
- ما لك في إيه؟
- مفيش..
- يبني احكيلي..
- يا ستي مفيش، إنتي يعني مش شايفة الدنيا بيننا عاملة إزاي.

ظلت صامتة حتى وصلنا إلى النيل، وقفنا فوق الكوبري وظلت تنظر إلي النيل، لطالما حكت لي عن عشقها للنيل، وكم كانت تقضي أوقاتًا جميلة على ظهر مركب شراعية لمجرد أنها في النيل، وكنت دائمًا أقول لها إنه عبارة عن ترعة كبيرة بعد أن لوَّثه الناس ولم يعد هو النيل الذي نتغنى به في كل المناسبات، ولكني كنت أحترم ما تحب، هذا ما تعودنا عليه، أن نحترم ما يحبه الطرف الآخر حتى وإن لم يكن من ضمن اهتماماتنا، حتى إني شاهدت "ستار أكاديمي"، وهو البرنامج الذي طالما اعتبرته "هايف"، حتى أشاركها ما تحبه فقط.

- طب إيه مش ناوية تتكلمي هتفضلي ساكتة؟
- وأتكلم ليه؟
- يعني إيه ليه إنتي عارفة السكوت ده بينرفزني..
- سامع؟
- سامع إيه؟
- ركز كدا سامع الصوت ده؟
- آه دي أغنيتنا بتاعة شيرين "أنا كلي ملكك" جاية من بعيد تلاقي أي مراكبي مشغلها ولا حاجة.

مور زيد

- دي أغنيتنا اللي سمعناها أول مرة اتقابلنا سوا، الصوت بيقرب.
- أيوا واخد بالي ممكن نسيبنا بقى من أم الأغنية وتركزي معايا عشان نشوف هنعمل إيه في اللي بيحصل ده وعشان كمان نـ...

وقبل أن أكمل حديثي، لفت نظري أن المركب تستدير لتعود تجاهنا، كانت هناك صورة كبيرة معلقة على واجهة المركب، لفتت نظري ألوانها وصورة الشخص المرسوم على تلك اللوحة، وكلما كانت المركب تقترب أكثر كانت دهشتي تزداد أكثر وأكثر.

B7bk Ya Kareem

Would you marry Me?

أي جمال هذا، أي مفاجأة تلك، من أين أتيتِ لتدخلي في حياتي وتغيريها ١٨٠ درجة بهذه الطريقة، كيف فعلتِ ما فعلتيه، كيف اخترقتِ حصون قلبي الذي أخذ عهدًا على نفسه ألا يحب، كيف استطعتِ أن تجمعي أشلاءه من جديد، وأن تعيدي تكوينها مرةً أخرى ليعود كما كان، حاولت الكثيرات أن تفعل مثلما فعلتِ، وكلهن فشلن في أن يعدنه بنصف ما كان عليه، أما أنتِ فملكتيه، جعلتيه عبدًا لكي، يأتمر بأمرك ويفعل ما

يسعدك ويرضيك، لا يهمه في الحياة سوى أن يراكي سعيدة، أن يرى ابتسامتك التي تجعل الشمس تشرق في وجهه هو وحده، تلك الابتسامة التي قد تدمع عيناي عندما أراها من فرط سعادتي، أنتِ من تركت بنات الدنيا كلهن لأجلك، لأجل عينيكِ، أنتِ التي لم أمل منها يومًا، ولم أشعر أني أحتاج لأي شيء أو أي شخص طالما أنكِ في حياتي، أنتِ التي قطعتِ حبل أفكاري، قطعتِ شرودي وذهولي عندما رأيت تلك الصورة معلقة علي المركب، مع تلك الأغنية التي نعشقها، أنتِ من قطعتِ هذا الصمت لتقولي لي "بحبك" بصوتٍ عالٍ سمعه كل من كان في الشارع، الأطفال، النساء، الرجال، حتى أمين الشرطة الذي كان ينظم المرور، كل شيء توقف عند تلك اللحظة، الكون كله توقف، الأرض توقفت عن دورانها، عيني تسمرت عليكِ، قلبي هو الشيء الوحيد الذي كان ينبض في تلك الحياة في هذه اللحظة، حتى مشاعري نفسها، توقفت عن كل إحساس في الحياة غير أني أحبك وفقط، أنتِ التي لم تخافي من أن يقول الناس عنكِ مجنونة، أو متهورة، أو غبية، أو متمردة، أوحتي "قليلة الربايَة"، قلتيها بأعلي صوتك في وسط الشارع، قلتيها لي كأجمل ما يكون كما وعدتيني، لم أكن أتوقع أجمل من هذا، حتى في أحلى أحلامي، لم أكن لأصدق أن هذا يمكن أن يحدث يومًا.

لأول مرة أشعر بالخجل، شعرت أن الأمور كلها متداخلة، أول مرة أشعر أني عاجز عن التصرف، لا أدري ما يجب عليَّ فعله الآن، هل أحتضنك، أم أقبل شفتيكِ، أم أهرب بكِ لمكانٍ بعيدٍ لا يوجد فيه سوانا، لمحتِ دموعًا في عيني، فممدتِ يديك الحانيتين لتمحيها، لم تتركي لي الفرصة كي أفكر كثيرًا، أمسكتِ بيدي ...

- تعالى معايا..

- على فين؟

- بلاش أسئلة، يالا..

مشيت خلفك كالمسحور، وكأنك قمتي بعملية تنويم مغناطيسي، ولكنه تنويم بالحب، أو أنه تنويم بسبب وروعة ما فعلتيه، مشيت خلفك دون أن أفكر، لأول مرة أسلم نفسي وحياتي وروحي لشخص وأنا مطمئن، غير خائفٍ، غير مهتم بما يمكن أن يحدث طالما أني معكِ، نزلنا كي نصعد على متن نفس المركب، وجدت كل مَن على الشاطئ من مراكبية وزوجاتهن وأطفالهن ينظرون إلينا ويضحكون، لم أعرف السبب، حتى إني كدت أن أتعارك مع أحدهم ظنا مني أنه ينظر إليكِ طويلاً، لم أفهم الأمر، ولكني فهمت بعد ذلك، فهمت بعد أن صعدنا إلى

المركب، ووجدتك أمامي، تركعين وتخرجين من وراء ظهرك "بوكيه ورد" في منتصفه علبة صغيرة، وتفتحيها أمامي وتخرجين منها دبلة فضة، وتضعينها في إصبعي وأنتِ تقولين بصوتٍ وابتسامة لن أنساهما ما حييت:

- تتجوزني يا كريم!

لم أعي بنفسي إلا وأنا أقف لأحتضنك، وأبكي في نفس الوقت، هذه هي المرة الأولى التي أبكي فيها من فرط سعادتي، والآن عرفت لماذا كانوا ينظرون إلينا، كانوا يتمنون لو يفعلون مثلنا.

أنتِ الأولى والأخيرة، أنتِ الجميلة، أنتِ الرائعة والمبهرة والمبهجة، أنتِ الوحيدة القادرة على أن تحتليني، وألا تبقي في أرضي مكانًا لغيرك، لم يسعني سوى أن أقولها لأول مرة بهذا الصدق وأنتِ بين ذراعي..

"بحبك، وهتجوزك، ومش هتكوني أبدًا لراجل غيري طول منا عايش، بحبك"...

- Oh my God، تيتة إنتي عملتي كدا فعلاً؟

- شوفتي بقي..

- بس المفروض الراجل اللي بيعمل كدا..

- الحب مبيعرفش مين يعمل إيه، اللي بيحس بحاجة يعملها، الحاجات دي مفيهاش راجل وست، في إني بحبه ونفسي أعمله حاجة حلوة يبقى هعملها، لا يهمني كلام ناس ولا تعليقات حد ولا رأي أي بني آدم، طالما مبعملش حاجة غلط ولا حرام "أنا بحب".

كأي علاقة سليمة بها مشاكل، من الطبيعي أن تحدث المشاكل بسبب إختلاف الشخصيات والصفات والطباع، وإن لم نختلف لما اتفقنا.

دائمًا ما كنت أرفض أن أخوض علاقة مع شخصية تشبهني تمامًا، وفي حين يرى الكثيرون أن هذه علامة جيدة وصحية للغاية، وأنهم إذا دخلوا في علاقة مع شخصية تشبههم تمامًا فإنهم سينجحون، كنت أرى أن هذا أول طريق للفشل. الشخصيات المماثلة قد تنجح في أن تكوّن صداقات ناجحة، وليس علاقة بين رجل وامرأة.

ومن هنا كانت المشاكل، طباع لست معتادًا عليها، ونحاول التأقلم معها، وصفات هي لا تحبها وتحاول أن تتقبلها وتتعايش معها، أحيانًا كنا ننجح وأحيانًا أخرى كانت المشاكل تزداد لتفوق قدرتنا في حلها.

لكل منًا بعض التجارب التي حدثت له سابقًا وسببت له عقدًا كثيرة، وبالتالي كان من الضروري أن نحاول معالجة هذه العقد حتى لا تسبب لنا آلامًا وأوجاعًا مزمنة مستقبلاً، كانت كل مشاكلنا في البداية تتلخص في الغيرة الأزلية التي أعاني منها ولم أجد لها حلاً حتى الآن، وحساسيتها المفرطة التي كانت تسبب

لي صعوبة في التعامل معها، فكان عليَّ أن أحسب كل كلمة قبل أن أتفوَّه بها، حتى ولو كانت كلمة عادية، قد تأخذها هي على محملٍ مختلف.

وفي أحد الأيام، كنا نتحدث ليلاً على الهاتف ونشبت مشكلة صغيرة، وبدا من ردة فعلها أني تفوهت بكلامٍ جارح، بالنسبة لي كان الكلام عاديًا وقد يصدر عن أي شخص في حالة من العصبية، وبالنسبة لها كنت أنا الشرير الذي أتى "مخصوص" كي يفترسها ويرحل، وفجأة وبدون مقدمات وجدتها تبكي، ظلت تبكي قرابة النصف ساعة دون أن أعرف السبب ...

"طب أقفل وأسيبها تهدى .. طب أفضل معاها .. طب ماهي مش راضية تتكلم .. طب هي بتعيط ليه أساسًا هو أنا دوست على صباعها".

أفكار كثيرة كانت تراودني أثناء بكائها، حاولت تهدئتها ولكني فشلت تمامًا، أدركت أن تحديات تلك العلاقة قد بدأت عند تلك النقطة، فعندما تبدأ المشاكل إما أن يتم حلها، أو تركها لتحطيم العلاقة وما تبقى منها للأبد.

كان بكاؤها قاسيًا؛ فأنا لا أحب أن أرى أي شخص يبكي بحرقة، أكره أن أرى قطة جائعة في الشارع دون أن أطعمها، فكيف

وهـي حبيبتـي، تـبكي دون أن أمتلـك مـن أمـري شـيئًا، دون أن أتمكن من ضمها إلى قلبي كي تهدأ.

نامت وهي تبكي..

ونمت وأنا حزين!..

وأتى يومٌ جديد.

أيقظتني في اليوم التالي كي أذهب لعملي كالمعتاد ...

- صباح الخير..

- صباح النور..

- إنتي لسة مضايقة؟

- لا مفيش حاجة..

- لا كدا يبقي في..

- أنا هبقي كويسة خلاص مفيش حاجة..

كانت ردودها قاسية عـليَّ، قـررت ألا أعاملها كـأي فتـاة أخـرى عرفتها، ففي وضع مثل هذا كان رد فعلي هو "خلاص أمـا تبقـي كويسة نـتكلم"، ولكنهـا ليسـت كغيرهـا، هـي مختلفـة، ولـذلك تستحق رد فعل مختلف، إن كنت أحبها حقا.

حاولت أن أذهب لها قبل العمل، ولكني لم أتمكن بسبب تأخري عن عملي أصلاً، ولذلك نويت أن أذهب إليها بعد العمل دون أن أخبرها وأحاول إسعادها بشكلٍ أو بآخر.

وفي منتصف هذا اليوم، حاولت الاتصال بها كثيراً فلم ترد عليَّ، وحينما ردت أخبرتني أنها متعبة بشدة وستذهب إلى البيت، حاولت الاتصال بها فلم تردّ، لم أكن أعرف هل هي نائمة أم حدث لها مكروه، ولكني كرهت أن أبقى هكذا دون أن آخذ أي ردة فعل، تداخلت الأمور كلها في رأسي، كيف أتركها حزينة وبسببي، وماذا سأفعل الآن وقد ذهبت إلى بيتها.

تركت عملي وجلست أفكر فيما يجب عمله، أفكار كثيرة تأتي وتذهب، ظللت أروح وآجيء في المكتب حينما داهمتني فكرة مجنونة، لا أعرف عواقبها ولكنها الفكرة الوحيدة التي شعرت أنها ستنجح، إما أن تنجح، أو أن تقضي على تلك العلاقة تمامًا، سأذهب إلي بيتها وليكن ما يكون.

استأذنت من عملي ورحلت.

توجهت إلى بيتها وقلبي يدقّ بشدة، لا أعرف هل ما أفعله صواب أم لا، ماذا لو فتح لي أبوها، ماذا لو لم يردّ أحد، ماذا سيكون رد فعل أهلها تجاهها، فيما سيفكرون، هل سيعتبرونني مجنونًا أم أحمق أم طائشًا أم متهورًا أم "قليل الأدب"؟ ..

تساؤلات كثيرة ظلت تضرب رأسي في طريقي إلى بيتها، ولكني عزمت على أن أكمل الطريق إلى النهاية، وليكن ما يكون، وليكن الله معي.

كانت قد حدثتني عن والدها كثيرًا، ومما أخبرتني به أنه شخص لا تضمن ردود أفعاله، فأحيانًا يكون هادئًا ويتصرف بعقلانية، وأحيانًا أخرى يثور على أسباب لا تستحق، ومما ذكرته أيضًا أنه لاعب كمال أجسام سابق، وضخم، وقوي للغاية، نوع الأشخاص الذي قد يضرب خمسة أو ستة رجال معًا في آنٍ واحد، وكلما تذكرت كلما تسارعت دقات قلبي، وتراجعت قدماي خطوة للوراء.

كنت قد عزمت أمري ونويت والنية لله، اتجهت ناحية باب المنزل الخارجي، فلم أجده مفتوحًا فقلت في نفسي هذه علامة من الله، سأرحل، وعندما استدرت لأرحل وجدت أحد سكان العمارة يأتي من خلفي ويفتح الباب، فقلت هذه علامة أخرى، سأدخل.

دخلت وطرقت باب المنزل وأنا خائف حقا، ففي بلادنا تصرف مثل هذا يعتبر غريبًا وشاذا وغير مقبول.

لم يفتح أحد من المرة الأولى، إذا هي علامة أخرى ...

"أنا حلو أوي كدا يادوب ألحق أجري وأبقى أتصل أقولها جتلك ومحدش فتح وكدا عداني العيب وأزح".

وأثناء التفاتي لأجري سمعت خطوات أقدام خلف الباب، وفجأة وجدت الباب يُفتح، وإذا بي أرى رجلاً ضخمًا، قد يساوي حجمه أربعة أو خمسة أضعاف حجمي:

- سلامو عليكو؟
- وعليكم السلام مين..
- حضرتك أنا زميل زيزى وعرفت إنها عيانة وجاي أتطمن عليها..
- نعم!!
- أقصد الآنسة زيزي حضرتك..
- هي زيزي عيانة أصلاً؟!
- آه وربنا حتى أسألها..
- فعلاً؟!
- فعلاً..

- طب اتفضل يبني معلش لحظة أصحيهالك، مش هنعرف نضايفك عشان إحنا في نهار مضان.

عند هذه اللحظة استطعت أن ألتقط أنفاسي، لم يضر-بني، لم يحملني ويرميني خارج المنزل، طالما أننا وصلنا لتلك النقطة فهذه بادرة جيدة.

استيقظت زيزي كما سمعت من خلف الستائر، وسمعتها تسأل:

- كريم مين يا بابا قصدك إبراهيم مديري في الشغل مثلاً؟

- يا بنتي لأ هو قال اسمه كريم؟

- أنا معرفش حد اسمه كريم..

فقلت في سري:

"آه يا جزمة بقى بتخلعي مني ماشي"

خرجت وجلست بجواري وهي شبه نائمة، ثم أتى والدها وجلس على الكرسي المقابل، فهمستُ لها قائلاً:

- هو إيه مش هيقوم؟

- يقوم فين إنت فاكر نفسك في أمريكا أكيد هيفضل قاعد معانا..

فنظرت إليه قائلاً:

- عمو ممكن كوباية ماية..

- ماية إيه يابني إنت مش صايم..

- آه صحيح ده إحنا في رمضان..

يئست من أن يتحرك من مكانه فلم يكن بيدي شيء سوى أن أسلم عليها وأخبرها أني أحبها وأرحل في هدوء، ولأحمد الله على ما أنا فيه، وأني سأخرج من هنا سليمًا معافى.

أفكار كثيرة راودتني عن ردة فعل والدها، لم أكن اطيق الانتظار حتى نتحدث ليلاً لأعرف ماذا حدث بعد رحيلي، وبعد أن خرجت أرسلت لي رسالة قصيرة:

"لو مكلمتكش بعد ساعة إبقى وزع علي روحي بيبسي دايت".

لم يكن زياد يصدق ما يسمعه، كان كل شيء بالنسبة له مفاجأة، هي تتقدم له، هو يذهب إلى بيتها فجأة، إنهما حتمًا مجنونان، وهما كذلك بالفعل.

***

خرج كريم من البيت بعد أن ودعته بنظرة "إيه اللي جابك" وعقل لا يفكر إلا في ردة فعل والدي التي بدت غريبة "جدا".

صمت تام في المنزل، لم يُعقب والدي على فعلة كريمٍ وكأنه معتاد على هذا، وبالنسبة لي لم يكن هذا الصمت مبشرًا على الإطلاق، بل كان هدوء ما قبل العاصفة وإراقة دمائي وتوزيع قهوة على روح المرحومة، ظللت أروح وآجئ أمامه لمدة ربع ساعة وهو لا يتكلم ولم يكن يدور في مخيلتي حينها سوى جملة "يخربيتك يا كريم كنت خايف أزعل منك يوم أديني هموت وأنا زعلانة منك، للأبد"

وبعد نصف ساعة من الصمت التام، قررت أن "أقطع عرق وأسيح دمه" أو دمي وأبدأ أنا بالحديث مع والدي:

- بابا..
- نعم..
- ساكت ليه؟
- مش عايز أتعبك عشان إنتي عيانة..
- الله يخليك والله ده كتير عليا..
- طيب..
- إيه يا والدي مالك بتكلمني كده ليه؟
- هي حصلت ولد يجيلك البيت يا زيزي؟

- طب وإنت مطردتهوش ليه؟ قصدي يعني دخلته البيت ليه؟ يعني بص مش عارفة صيغة السؤال بس ليه؟
- وده زميلك؟
- بصراحة لأ ده واحد معجب بيا وأنا قولتلـه لأ وإني مـش عايزة أرتبط وطلب مني كذا مرة حتى نـتكلم وأنـا أبـداً مش موافقة وقالي أتقدملك وأنا بردو أبداً.. فتلاقيه قـال يحطني قدام الأمر الواقع وييجي البيـت بقـى، معجـب بيا هعمله إيه..
- وعرف العنوان منين؟
- عاااااااااه، يعني يا بابـا أكيـد سـأل يعنـي وبعـدين مـا المنطقـة كلهـا عارفـة بيتنـا تقـول بنـت مسـجل خطـر يخواتي..
- مممممممـم، يعنـي إنتـي مبتحبيهـوش ولا بيـنكم حاجة؟
- أنا!! إطلاقًا! مستحيييييل وبعدين أنـا لـو مرتبطـة منـا هقولك يعني من إمتى وأنا بخبي عليك؟ هاه،هاه؟

- طيب..

للمرة الثانية كانت ردة فعل والدي مريبة، أعلم جيدًا أنه لم يصدقني فهو يعلم جيدًا متى أكذب ومتى أكون صادقة فـ"اللي ربي خير من اللي اشترى" كما يقولون.

كلمت كريم بعدها وحكيت ليه ما حدث بيني وبين والدي.. وبالطبع كانت ردة فعله "بعتيني يا جزمة"

- وش يا بيبي..

طلب مني كريم بعدها أن أخبر والدي أنه يريد أن يتقدم لخطبتي وأن يأخذ رقمه ليكلمه، لم أصدق حينها وخلت أنه يمزح ولا أنسى رده حين قلت له:

- بطل هزار بقى!

- أنا مبهزرش، أنا عايز أخطبك، أنا عارف إن معداش ما بيننا فترة كبيرة وإن لسه في حاجات كتير منعرفهاش في طباع بعض وحاجات أكتر لسه مش عارفين نتعامل معاها في عيوب بعض بس اللي أنا متأكد منه إن أي خطوة هتخليني أقرب منك أكتر عمري ما هتردد وأنا بمشيها.

لم أجد أي رد فعل مناسب لمثل هذا الموقف سوى البكاء، فضحك كريم حينها قائلاً:

- حتى وإنتي مبسوطة بتعيطي، إنتي نكدية يا حبيبتي..

تحدثت إلى والدي حينها وأخبرته بالحقيقة وأني أحب كريم وأنه يريد التقدم لخطبتي وأني موافقة، ولا ينقصنا سوى تحديد ميعاد الخطبة "ولو فاضي ابقي تعالى"

- وحياة أمك!..
- وحياتك إنت ما إنت أبويا وأمي وافق بقى..
- يا زيزي ده مجنون..
- عادي يا بابا منا كمان مجنونة إيه المشكلة، وافق عشان نخلفلك مجانين صغنين يملوا عليك البيت ويقولولك يا جدو مش نفسك يتقالك يا جدو..
- حبايب جدو..
- ها وافقت؟
- لأ..

اعترض والدي حينها على قراري بالخطبة من كريم، ونصحني بعدم التسرع مرةً أخرى، ثم قال لي:

- وقت ما أحس إنك فعلاً بتحبيه وأتأكد إن هو كمان بيحبك ومش هيكون زي اللي قبله أنا بنفسي- هقولك هاتيه البيت عشان يخطبك وده مش معناه إني هسيبك على حل شعرك وتقعدي تتكلمي معاه عمال على بطال لأ طبعًا في حدود بس خطوبة وأفسخ يا بابا تاني "لأ"..

تضايق كريم حينها من ردة فعل والدي، وشعر أن بها نوعًا من الإهانة وعدم الثقة، ولكن ما باليد حيلة "نستنى".

الأمور زيد

الأمور زيد

كعادة أي علاقة طبيعية منذ بدأت الخليقة أن تبدأ بالحب والرومانسيات ثم تتحول تدريجيا إلى روتين ثم برود ثم قرار الفراق أو البقاء مع اللا شيء.

ولكن في علاقتي أنا وكريم كان الأمر مختلفًا تمامًا؛ إذ بدأت المشاكل قبل أي رومانسيات بيننا..

- إنت عصبي وغيور زيادة عن اللزوم..
- وإنتي بردو حساسة لدرجة أووفر..
- .....
- .....

صمت تام بدأ في التسرب في مكالماتنا سويا، لم يكن لدي أي طاقة لتغيير ما يحدث، بدأت أشك أن كريم سيتحول ليوسف آخر وأنه ليس مختلفًا كما خُيل لي، كنت واثقة حينها أن القرار الصحيح هو أن أترك لكريم القرار إما أن يدافع عما بيننا أو يستسلم وينتهي كل شيء، ليس أنانية بل يقينًا بمقولة

"إذا أردت شيئًا بشدة عليك أن تطلق سراحه"

والغريب فيما حدث أنني ما إن كنت أرى كريم حتى أنسى كل شيءٍ وكأنه لم يكن، وعندما ينتهي اليوم ويعود كل منَّا لبيته ونتحدث عبر الهاتف حتى نعود لأدراجنا ويبدأ الصمت، والبكاء، والصراخ من جديد..

- أنا بقيت بكره مكالماتنا في التليفون بكرهها..

- قصدك إيه؟ بقيتي تكرهيني يعني؟

- بقيت أخاف منك، الخوف بداية الكره، مش معنى كده إني لو فضلت خايفة هكرهك بس هكره أقرب منك، هكره كل حاجة بتربطنا، زي ما بقيت بكره إننا نتكلم في التليفون، وخايفة ييجي يوم أكره حتى أشوفك، إنت وعدتني هتطمني لو خوفت منك وأديني خايفة، خايفة أكمل ، خايفة أتوجع.

- هو إنتي مبقتيش عايزانا نتخطب زي الأول بنفس الحماسة؟

- ممكن ما أردش.

كانت هذه هي الكلمات التي بدأت بعدها اللحظة الفارقة، اللحظة التي قد تحسم مصير تلك العلاقة، إما استمرار أبدي، أو نهاية لا رجعة فيها.

بدأت الأمور تسوء بيننا، لم أعرف تحديدا هل المشكلة مني أم منها، ولكني كنت مدركًا لحجم تلك المشكلة، وقناعتي التامة في هذا الأمر أن الخطأ دائمًا مشترك، فلا يوجد شخصًا مخطئًا تمامًا وآخر محقا تمامًا، هذه هي القاعدة التي أعيش بها، الشيء المؤكد هو أن نسبة الخطأ قد تختلف، قد تخطئ بنسبة ٧٠%، والطرف الآخر بنسبة ٣٠% مثلاً، ولكن في النهاية لا يوجد شيءٌ مطلق.

كان التفاهم الذي بيننا بدأ في التراجع بشكلٍ واضح، الكثير من العصبية مني، والكثير من الصمت منها، أكثر ما كانت تكرهه هو الصوت العالي أو العصبية، وأكثر ما كنت أكرهه هو الصمت، ودائمًا ما كنت أؤمن بمبدأ أن الحديث يمكنه حل كل المشاكل في الحياة ...

- هو إنتي ما لك متغيرة ليه؟
- إزاي؟

- يعني بقالك فترة مش زي ما كنتي الأول، هو إنتي مبتحبنيش؟
- لأ.. بحبك
- أمال في إيه؟
- مفيش.

كان هذا هو شكل الحوار بيننا لمدة أسبوع تقريبًا، وهنا بدأت قرون الاستشعار لديَّ في الاهتزاز وبقوة ١٠ ريختر، وبدأ عقلي يصدر رسائل تلقائية وسريعة وموجزة ومنذرة بخطرٍ حقيقي.

"العلاقة مهددة..

زيزي في خطر..

كريم في خطر..

هتروحوا في داهية..

إلحق الدنيا قبل ما تبهوأ منك..

البت هتضيع من إيديك..

إتلم وإعدل الدنيا".

وكأن هذه الرسائل صادرة عن إنسانٍ آلي.

وبعد مرور أول أسبوع على هذا الوضع، كنا قد اتفقنا على دخول السينما، وتقابلنا وذهبنا إلى السينما واتجهنا إلى KFC كي نتناول بعض الطعام، استأذنتها لأدخل الحمام، وما إن دخلت حتى أغلقت على نفسي ونظرت إلى المرآة، وبدأت في الحديث إلى نفسي:

"حدد إنت عايز إيه بالظبط، عايز تكمل ولا مش عايز، بتحبها لدرجة إنك متعرفش تعيش من غيرها ولا مش فارقة معاك كتير وزيها زي غيرها"

وكانت الإجابة بالنسبة لي قاطعة، لا أريد سواها، لا أريد أن أرى ابتسامة سوى ابتسامتها، لا أريد أن أرى نفسي سوى في عينيها، لا أريد أن أقضي أيامي بدونها، لن أحتمل أن تكون لرجل غيري، ولن تملأ عيني وقلبي فتاة غيرها.

خرجت من الحمام وجلست في مواجهتها، نظرت إليَّ باستغرابٍ:

- ما لك بتبصلي كدا ليه؟
- زيزي أنا مش عايز اللي بيحصل ده..
- يعني إيه؟

- يعني مش عايز العلاقة تبقي كدا، مش عايزها تبقي باردة، مش عايز مع مرور الوقت حاجة ما بيننا حلوة تروح والله ما هستحمل!..

صمت تام زاد من عصبيتي، ولكني تحكمت في نفسي:

- ما لك ما بترديش ليه إنتي عارفة إن السكوت ده بينرفزني..

- أقول إيه؟

- بصي يا زيزي، هسألك سؤال، لو أنا دخلت امتحان وعارف كل حاجة صح، وخرجت من غير ما أكتب اللي أعرفه هاخد إيه؟

- صفر.

- بالظبط كدا، لازم نتكلم، لازم نعرف نعمل حوار ما بيننا، لازم نتناقش، لازم تتكلمي عن اللي حاسة بيه، أنا هعرف منين اللي مضايقك واللي مزعلك لو مقلتيهوش، في حاجات ممكن أعرفها بإحساسي بيكي بس مش هقدر أعرف كل حاجة أنا لا ساحر ولا بنجم، صح؟

- صح.
- طب ممكن نتكلم وتحكيلي كل حاجة مضايقاكي من أول ما عرفتيني لحد دلوقتي، لأن مش هينفع نكمل بالمنظر ده، لو بتحبيني وشايفة ليكي مستقبل معايا وعايزاني في حياتك الجاية لازم تتكلمي دلوقتي، أنا عارف ومقدر إنك مريتي بتجربة وحشة قبل ما تعرفيني كرهتك في جنس الرجالة كله ومبقتيش تحبي تتكلمي مع حد ولا تحكي اللي جواكي لحد، أنا فاهم ده كويس، وعشان كده بحاول أعالجه، ما بطلبش منك تتكلمي في كل حاجة، بس علي الأقل نحاول، نبدأ، اتكلمي براحة في نقطة نقطة، اللي تقدري أوكي اللي متقدريش تكلمي فيه هستني عليكي بس توعديني إنك هتحكيهولي لما تقدري، بس لو متكلمتيش دلوقتي صدقيني يومين وهنسيب بعض، مش بمزاجنا بس عشان مش هيبقي عندنا حلول تانية، ودلوقتي أدامك حلين يا تتكلمي معايا ونحل أي مشكلة بيننا ويبقى الكلام هو

طريقتنا في حل أي مشكلة، يا صدقيني مش هنستحمل الطريقة دي كتير.

***

كانت هذه الجملة بداية لأملٍ جديدٍ في إنقاذ ما بيننا، خرجت الحروف من عين كريم دون أن تخرج من فمه، لم تكن تكرر سوي كلمة واحدة "متسيبينيش" ظللت أفكر لدقائق قليلة، تذكرت كل ما مررت به وكأنه يعرض في شريط سينمائي، ألم... خذلان... فراق... لم أذكر أني رأيت نظرة مثل تلك في عين أي ممن تركوني، أدركت جيداً حينها أن "إذا أردت شيئًا بشدة، إمسك فيه بإيديك وسنانك" كما قالت لي صديقة ذات مرة وهي تحكي عن حبيبها الذي انتهى بينهم الحال منذ أكثر من خمس سنوات وهي ما زالت وستظل تحبه، أذكر حال نبرة صوتها وهي تبكي بحرقة وهي تقول "إياكي تسيبي اللي بتحبيه، إياكي! مفيش أي حاجة في الدنيا بتعوضه، الحب اللي بجد مبيجيش غير مرة واحدة إياكي تضيعيه! الناس كلها هتموت مرة وإنتي هتموتي ألف مرة في كل لحظة بعد ما تبعدي عنه، عارفة.. يا ريت يبقى موت، ده الموت أريح... كل الوجع اللي في الدنيا ولا ييجي حاجة جمب إنك تتوجعي ومتلاقيش اللي بتحبيه جمبك، لو مليون حد معاكي هتفضلي بردو تتوجعي؛ لأن

الوحيد اللي بإيده يخفف عنك الوجع ده مش موجود!".. كل هذا مرَّ بمخيلتي وأنا أنظر لكريم في صمت.

***

خمسة دقائق مرت من الصمت التام، لم أتحدث بعد ما قلته، ولم تنطق هي بأي كلمة، كنت خائفًا مما ستقوله، أو بمعني أدق كنت قلقًا، هل ستحاول أن تتغلب علي مخاوفها وأحزانها وآلامها كي تنقذ تلك العلاقة، أم ستستسلم وتقرر أن تسير في الطريق السهل، وهو أن ترمي كل شيء وراء ظهرها لتعود لحياتها السابقة، وبينما أفكر في كل الاحتمالات، وبدون سابق إنذار وكأنها تحكي آلام عمر كامل، آلام تحملتها كثيرًا حتى لم يعد بإمكانها أن تسكت عليها أكثر من ذلك:

- أنا بحبك ومش عارفة أتخيل حياتي من غيرك بس في نفس الوقت مش قادرة أتخيل أني ممكن أعيد كل المشاهد القديمة تاني، إنت ما تعرفش اللي قبلك عمل فيا إيه وبهدلني إزاي، وإزاي كان ممكن يمد إيده عليا، وإزاي أنا كان ممكن أزعق فيه وممكن أشتمه من كتر اللي كان بيعمله، إنت ما شفتش أنا عشت إيه وعديت بإيه وحسيت إيه، كان كل حاجة فوق طاقتي، ومكنش حد واقف جنبي، كنت لوحدي، محدش كان بيساعدني،

كله كان بيدافع عنه هو بس، أدام الناس كلها بيبين نفسه أحسن واحد في الدنيا وبيني وبينه بيبقى أسوأ حد ممكن عينك تشوفه، مش عايزة ده يتكرر تاني!..

- إنتي ليه بتقارنيني بيه، أنا مالي؟
- عشان الفترة اللي فاتت كنت بدأت تبقي زيه..
- من ناحية؟
- بقيت عصبي، بتقفش علي كل حاجة، مش بتستحمل حاجة، مش عارف تتعامل معايا، أنا بني آدمة حساسة لازم تبقى براحة معايا..
- طيب ما إنتي زي ما بتطلبي أعاملك بطريقة معينة أنا كمان ليا حاجات بطلبها مبتعمليهاش، مبحبش السكوت الكتير، الحساسية الزيادة دي مبتخلنيش أعرف أتعامل معاكي بتخليني أمشي على قشر- بيض، مينفعش أعمل ده معاكي إنتي بالذات، إنتي الوحيدة اللي لازم أكون معاها براحتي، مينفعش أحسب حاجة وأنا معاكي.

- وأنا ما عنديش مانع أكيد ومش هحبك تبقي بتاخد بالك من كلامك أدامي بس مش معنى كدا إننا نجرح بعض..
- أنا عمري جرحتك؟
- أيوا لما بتتكلم وإنت متعصب بتخبط في الكلام..
- ما أنا لما بتضايق بقول كلام مش قاصده، ممكن يضايق بس إنتي عارفة إني بحبك ومش بقصد أجرحك، مش مطلوب مني بعد كل خناقة أقعد أعتذر عن اللي قلته؛ لأني مش قاصده.
- بس أنا مبعرفش أتجاهل ده حتى لو مش قصدك، أنا بني آدمة حساسة جدا حاول تفهم ده..
- إنتي مش حساسة جدا، إنتي حساسيتك دي فوق المعدل الأوفر مش حتى الطبيعي، لازم نحل المشكلة دي.
- حساسيتي الأوفر دي بسبب وجع أوفر بردو، وجع خلاني أخاف من كل حاجة، مبستحملش حد ييجي عليا

أو يزعقلي وأنا معملتش حاجة غلط بحس إني بتظلم وأنا مبحبش أتظلم.

وعند هذه النقطة أمسكت يدها وقبَّلتها وأنا أكمل حديثي قائلاً:

- زيزي أنا بحبك مش عايز أخسرك، مش حابب أمشي خطوة تانية في حياتي من غيرك، مش عايز بنات غيرك، مش عايز أشوف غيرك أساسًا، عايزك تملي عيني وقلبي وحياتي وروحي، ممكن ولا لأ؟

- ممكن متوجعنيش تاني!

- هسألك سؤال وتردي بصراحة، إنتي فكرتي نأجل الخطوبة؟

- نأجل! أنا فكرت إننا مش هنكمل أصلاً!..

- طيب أنا مش هعاتبك على الكلام ده، بس أنا اللي هقولهولك إني هحاول أرجع كل حاجة، هحاول أرجعك ليا تاني من غير كلام كتير، هتشوفي ده من تصرفاتي لو ما عملتش ده اعملي اللي إنتي عايزاه، اتفقنا؟

الأمير نور زايد

- توعدني..
- أوعدك هحاول أحافظ عليكي على أد ما أقدر، بس توعديني تحاول تصلحي م اللي بيضايقني، ممكن؟
- حاضر..
- هترجعي كويسة؟
- لو إنت عرفت ترجعني كويسة هرجع وهبقي أحلى مما إنت متوقع، لأني بحبك..
- والله وأنا بعشق أهلك.

كانت هذه هي أهم محادثة أجريتها في حياتي، أهمها وأكثرها حسمًا، أنهيتها وأنا سعيد للغاية، شعرت أني حققت إنجازًا مهما، هذه هي المعركة الأهم في حياتي، إما أن أفوز بها، أو أن أخسرها وأخسر معها ما تبقى من قلبي، وفزت.

-١٩-

بعد أن انتهى كريم من قصته كان الأولاد في غاية الانبهار، لم يصدقوا أن هناك من يحب لهذه الدرجة، أن هناك من يعيش مع شخص واحد عمرًا بأكمله ويظل حبه بنفس الدرجة التي كان عليها من لحظاته الأولى.

أتى أولادهم من الخارج وهم يضحكون ويمرحون، كانوا سعداءً بعد أن قضوا يومًا جميلاً بالخارج ...

- إيه يا بابا الولاد تعبوك..
- أبدًا ولا تعبوني ولا حاجة، بالعكس قعدنا اتكلمنا كتير..
- ممم وقلتم إيه بقي؟
- حكتلهم حدوتة هيفضلوا فاكرينها سنين جاية مش هينسوها أبدًا، ودلوقتي يا ريت بقى تسيبوني عشان ورايا مشوار..
- رايح فين يا بابا لوحدك؟
- لا مش لوحدي.

دخل كريم إلى الغرفة حيث كانت زيزي على وشك أن تنام ...

- إيه يا زيزي حد ينام بعد الحدوتة الحلوة دي دنا قولت هـدخل ألاقـيكي مغـيرة هـدومك ولابسـة لنـا حاجـة شفتشفي ومشغلة لنا مهرجان كده من زمن المهرجانات الجميل اللي كنا بنرقص عليها زمان، فاكرة..
- أنا عمري ما نسيت أي حاجة بيننا، لو الزمن عدى عليا ونسـاني اسـمي حتـي مـش هنسي- ملامـح عشرتنا سـوا وأيامنا سوا كلها..
- طب احكيلي فاكرة إيه تاني!
- لسه هحكي تاني..
- وتالت إحنا ورانا إيه؟
- طول عمري بحب أحكيلك عنك عشـان أشـوف ضـحكة الرضا على وشك، الابتسامة اللي بتحمـد ربنـا إننـا عرفنـا سوا نعمل اللي ناس كتـير مقـدرتش عليـه، وقـالوا عليـه أحلام ومفيش منه في الواقع، فاكر...

فاكر الدنيا كانـت وحشـة إزاي قبلـك ومكـنش فيهـا حاجـة حلوة، أما كان كل اللي قبلك وجع وكنت واصله لمرحلة مـن

اليأس إني مبقيتش عايزة أعيش لأني مكنتش شايفة إن في حاجة تستاهل أعيش عشانها، كنت مستسلمة لعمري اللي كان بيضيع مني، وكنت فاكرة إني هعيش وأموت زي ما أنا وعمري ما هحقق اللي حلمت بيه، كنت بحاول أنتحر وربنا مكنش عايز ياخدني وكنت بعيط وأقوله ليه مبتاخدنيش وأتاري الرد متحوشلي في علم الغيب إنه سايبني عشان عارف إنك جاي، عارف إنك جاي تعوضني عن حنية أمي اللي ملحقتش أشبع منها ومامتك اللي عمري ما كنت أصدق إن يبقالي حما حنينة كده وأهلك وحنيتهم ووقفتهم جمبنا اللي عوضوني عن العيلة اللي اتفركشت والبيت اللي مكنش موجود، لمتنا وسطيهم ولمتي في حضنك عوضتني عن سنين عشتها لوحدي.

فاكر كام مرة شوفتك صدفة وكل واحد فينا ماشي ف طريق بعيد عن التاني وبحكمة ربنا يقطع طريق كل واحد فينا عشان يجمعنا ف طريق لينا وأول مرة طلبت فيها تقابلني وأنا وافقت من غير ما أفكر، رغم إن ده عمره ما كان مبدئي ولا طريقتي بس جيت وقابلتك، كلامك ليا يومها وإنت

بتتكلم عن إننا هنفضل مع بعض وإني هحبك وإزاي كنت واثق من نفسك وإنت بتقول الكلام ده، الجامع اللي قولتلي فيه بحبك ودعوتي اللي اتحققت بيك، فاكر إزاي قولتلك بحبك.

فاكر كل الناس اللي وقفت قصاد الحب ده ومكنتش عايزاه يكمل، كل الكلام اللي اتقالي عنك وأنك وحش وبتاع بنات وإني مينفعش أكمل معاك وانك هتدمرني. أنا مسمعتش لكلام حد ومشيت وراك ووثقت فيك ومصدقتش ولا حاجة عليك، مع إنك إنت نفسك اكدتهالي بس قلبي كان ماكدلي انك هتتغير عشاني وإتغيرت.

فاكر أما كنت خايف من رد فعل مامتك عني واستغربت انها من اول مقابلة حبتني، أول خناقة بيننا وعشان تصالحني طبيت عليا في البيت، وخليتني أقول لبابا إنك عايز تخطبني وشرط إنك تجيب شقة ومكنش معاك فلوس كتير وقولنا هنجيب أي حاجة.. وسبحان الله ربنا سهلها وأهلك وقفوا جمبنا.. وكلمتك ساعتها أما قولتلك أنا مش عايزة حاجة من الدنيا غيرك، وقولتلي "عشان كده أنا عايز أكفيكي عن الدنيا كلها" وكفيتني.

فاكر اما خوفنا بابا يطلب منك حاجة تاني وف قراية الفاتحة قالك أطلب قولتله أطلب قالك هطلب منك تحطها في عينيك "،

ومن قبلها ولحد دلوقتي معملتش غير كده" شيلتني جوه عينيك وقلبك وكنت ليا في عز زعلك مني أماني وحمايتي حتى من نفسك، وكام مرة خطوبتنا اتأجلت وكنت بتخاف وبتزعل وكنت بقولك انها لو اتاجلت ١٠٠ مرة أنا مش هكون لحد غيرك ومش هسيبك.

فاكر إنت كنت بتتعصب وبتتضايق من كل حاجة إزاي واما عرفت ان ده بيزعلني اتغيرت عشاني وأما كان بيحصلي مشكلة وأقولك عايزة أبقي لوحدي فتصمم تفضل معايا ومتسيبنيش غير وأنا بضحك وتقولي "هاه كده أحسن ولا لوحدك".

فاكر أما كنت خلاص بستسلم ان علاقتنا تنتهي ومسكت فيا وقولتلي انا بحبك وعايزك ومش هسيبك لحد تاني .. من ساعتها مستسلمتش عشانك وعشان بحبك وعشان اللي جوايا ليك مستحيل كان هيعرف يكون لحد تاني عمري ما كنت هعرف أحطك فمقارنة مع أي راجل في الدنيا؛ لأنه كان هيخسر لأن مفيش راجل فحنيتك وطيبتك وجدعنتك ووقفتك جمبي مفيش راجل بيسمع ويقول معلش ويطبطب حتي وهو حمول الدنيا فوق كتافه، راجل يعمل اللي يبسط مراته قبل اللي يبسطه ويسألها دايمًا "مبسوطة"، أنا حتى لو كنت زعلانة اهتمامك بأني أفرح كان بيبسطني، مفيش راجل زيك في عيني دنا لما كنت بدعي في صلاتي حتى لولادنا كنت بدعي يلاقوا قلب يشبه

لقلبك ولو أني عارفة إنه مفيش
فاكر...
أنا مش فاكرة حاجة غير الحاجات اللي ما بينا وقد ايه بحمد ربنا انك متخليتش عني أما أنا ضعفت ولا أنا صدقت عليك كلام ومشيت وإن كل واحد فينا كان قد الكلام اللي عيوننا في أول يوم اتقابلنا وعدت بيه..
أنا فاكرة وهفضل أفتكر طول عمري إن دعايا بقي بيك ومعاك وليك "كريم يا رب" يجمعني بيك ف جنته زي ما جمعنا في دنيته ويكملنا بعقلنا وبجنانا وبإحتياجنا لبعض ولهفتنا لبعض نفضل أشقيا ومجانين ومفيش في ملامح مشاعرنا حاجة تتغير ويحافظ علينا ويحمينا من أي عين أو حسد ويا رب اللي يحسدنا ربنا يعوضه زينا عشان يدعيلنا..
أنا فاكرة وهفضل أفتكر "كريم وزيزي" اللي بيتقالوا مع بعض وربنا أبدًا ما يفرقهم أبدًا من بعض..
النهاردة بقالنا ٤٦ سنة ده مش بس عمر اللي ما بيننا ده عمري أنا كمان؛ لأن اللي قبلك عمري ما حسبته من يوم ما عرفتك، يا رب قد اللي فات من عمرنا وجاي تعيش متهني ومبسوط ومرتاح معايا يديمك في حياتي راجل حافظ عليا ووقف جمبي وعمره ما اتخلى عني وعوضني عن تعب العمر كله، كل سنة

وأكون لك عوض عن كل وجع في حياتك، وسند يقويك، وضحكة لشفايفك، وقلب يحضنك ومتطلعش منه أبدًا.

- أقولك إيه بعد الكلام الحلو ده..
- الكلام ده ولا حاجة جمب حلاوة سنين عمري اللي قضيتها جمبكز.
- طب قومي إلبسي يا زيزي..
- ألبس إيه دلوقتي؟
- هنروح مشوار كدا
- فين؟
- من إمتى لما بعملك مفاجأة بقولك هنروح فين؟
- طول عمري ماشية معاك وأنا مغمضة..
- يبقى قومي إلبسي يالا..

ارتديا ملابسهما وأمسك بيدها ونزلا على السلم ببطء يليق بعجوزين مثلهما، خرجا إلى الشارع، لم يخرجا من المنزل منذ مدة طويلة، أمسك يدها وعبر بها الطريق، استقل تاكسيا

وطلب منه أن يذهب إلى كوبري قصر النيل، كان السائق ينظر إليهما من المرآة وهو يضحك ...

- ما لك يسطا بتضحك على إيه؟
- لا بس يعني مستغرب الصراحة، إتنين في سنكم ولسة بتمسك إيدها، مبتحصلش دي..

ضحِك كريم وزيزي في نفس الوقت، وهو ينظر إليها نفس النظرة التي كانت منذ ستة وأربعين عامًا ...

- واخدني على فين يا كريم؟
- ممكن تستني وهتشوفي، مش ناوية تبطلي العادة دي بقي..
- كوبة عليك..

ضحك بقوة بعد الكلمة الأخيرة، فهي الكلمة التي اعتادت أن تقولها له منذ سنين طويلة، ولم تفارقها أبدًا. نزلا من التاكسي- واتجه ناحية سور النيل، أمسك بيدها ونزل بها عدة درجات ناحية المراكب الموجودة بجوار الشاطئ، طلب منها أن تصعد إلى المركب، ثم اتجه ناحية المراكبي...

- خد الفلاشة شغلنا الأغنية دي..
- عليها إيه دي يا جدو..
- "أنا كلي ملكك".
- يااااااه بتاعة شيرين عبوهاب، دي من الكلاسيكيات، زمن الفن الجميل، مش أغاني اليومين دول.
- ممكن تشغلها من غير كلام كتير.

" أنا كلي ملكك أنا كل حاجه حبيبي فيا بتناديك
أنا مش بحبك الحب كلمة قليله بالنسبة ليك"

- فاكرة، أول أغنية نسمعها سوا من زمان أوي..
- مقدرش أنسى!..

"إنت فرحة جت لعندي بعد عمر من التعب
في السعادة اللي بعيشها يا حبيبي إنت السبب"

- النهاردة ٢٠-٦، أول يوم اتقابلنا فيه..
- مكنتش ناسية، وكنت متأكدة إنك مش ناسي، وكنت مستنية مفاجأتك ليا، زي كل سنة..

"ضحكتك عقلك جنونك و الحنان اللي في عيونك
هوصف إيه و احكيلك إيه"

- فضلتي أجمل حاجة في حياتي، من أول ما دخلتيها لحد دلوقتي..
- وإنت عمرك ما خيبت ظني فيك، وفضلت زي ما أنا كان نفسي تكون دايمًا..

"معاك بضحك و بفرح مبقتش خايفة
و إزاي هخاف وأنا بين إيديك"

- عمري ما إتطمنت غير معاكي..
- كل يوم عدى ما بينا لو مكنش حبنا بيزيد فيه عمري ما كنت هسمحله يقل.
- حتى وإحنا عندنا ٧٢ سنة..
- طول ما لسة فيا نفس طالع وداخل هفضل أحبك..

"ساعات بخيالي بسرح قبل لما بحلم كل حاجة ألاقيها فيك"
يخرج من يده خاتمًا فضيا صغيرً، ويركع على ركبتيه أمامها، ويلبسها الخاتم في إصبعها، ثم يمسك يدها ويقبلها.

تبكي فرحًا، دموعًا لم يرها إلا وهي في شدة سعادتها معه، أو شدة حزنها منه ..

"و السنين هتفوت و تمشي

منك إنت أنا مش همل

بوعدك يا حبيبي عمري

شوقي ليك ما في يوم يقل"

- إنتي أجمل حاجة ممكن تحصل لبني آدم في الدنيا..

- أنا جميلة عشان عينيك هي اللي شايفاني..

جلس بجوارها، لف ذراعه حول كتفها، وضمها إليه، وأغمضا عينيهما، فلا يريان شيئًا، ولا يسمعان شيئًا، سوى قلبيهما، ولا يشعران إلا بجسديهما سويًا في ضمة وحضن يطول إلى ما لا نهاية.

ينظر المراكبي إلى النيل، يتأمل العجوزين، مشهد استثنائي لا يراه كل يوم، عجوزان فوق السبعين، يعيشان لحظات من هم في العشرين، قليلون هم من يعيشون لهذا السن وهم يحبون بعضهم البعض كما لو كانوا في أيام الحب الأولى، أخرج هاتفه واتصل بزوجته التي خاصمها منذ يومين لسببٍ لا يذكره ...

- ألو
- بحبك..

"هبقى فرحك وقت حزنك
في التعب تلاقيني حضنك
كل يوم من عمري ليك"

الأم فور ريد
الأم فور ريد

اكتب عنها فـ كل قصيدة إن شا الله الاسم

علّم كل مكان بتروحه بشكل عنيها

اشرب قهوة كأنك آخر مرة هتشرب

شم ريحتها فـ ريحة البُن عشان يحلو

سيب ملامحها تغطي ملامحك واسرح فيها

فاكر أول ماسكة إيد .. جسمك قشعر

أو بوسة فـ لحظة حب .. وشك نوَّر

أول حضن فـ وقت الخوف .. عشان تطمن

أول مرة دموعها بتنزل .. حبها كان لسة بيتكون

فاكر إيه فـ حياتك تاني مربوط بيها؟

روحك ..

يمكن ..

طيب اوعى تفرط فيها

للتواصل مع الكتاب :

كريم هشام

Facebook Account:

https://www.facebook.com/kareem.hesham.1988

Phone Number:

01064220012

زيزى سيف النصر

Facebook Account:

https://www.facebook.com/zeezee.cindrella.5

كريم هشام

يو-تيرن

TURN

مقام للنشر والتوزيع

كريم هشام

يو-تيرن

نهاية مفتوحة

يو-تيرن

يومها نظرت إلى السماء الواسعة، ورأيت الله، رأيت الله في عينيها الخائفتين من مستقبل مجهول، من شخص يعرض عليها قلبه وأن يأسر قلبها وهي لا تعرفه جيدا، لا تعرف كيف سيكون معها بعد أسبوع أو بعد شهر أو سنة أو عشر سنوات، هل سيتغير عليها كما فعل من سبقه، رأيت الله في قلبها الذي خضع لي منذ المرة الأولى واستكان بين يدي وكأنه كان ينتظرني منذ سنين، رأيت الله في نجاتها من محاولة انتحار فاشلة، وكأن الله أراد أن يعطيها فرصة ثانية كي نتقابل، بل أكاد أجزم أنه نجّاها كي يعطيني أنا فرصة كي أكون ما أحب، وما أنا عليه، أخبرتها أني أحبها، ولم أندم للمرة الأولى.

TURN

كريم هشام

مقام للنشر والتوزيع